المكتبة الإسلامية

قصص الأبرار

تأليف

الأستاذ الشهيد مرتضى المطهري

مؤسسة أهل البيت عليهم السلام

مكتبة نرجس PDF
www.narjes-library.blogspot.com

قصص الأبرار

تأليف

الأستاذ الشهيد مرتضى المطهري

ترجمة

جعفر بهاء الدين

مؤسسة أهل البيت (ع)
بيروت - لبنان
ص.ب ٢٥/١٨١ الغبيري

المكتبة الإسلامية

جميع الحقوق محفوظة
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبيّنا وآل بيته المنتجبين .

كتاب «قصص الابرار» من اكثر كتب الاستاذ الشهيد مطهري انتشارا ، وسبب انتشاره لا يكمن في كونه مجرد كتاب قصص للتسلية أو لقضاء الوقت ، بل في كونه مدرسة يتلقى الطلبة المسلمون فيها كل خير على اليد الأمينة للمعلم الشهيد .

والقصص التي بين يدي القارىء الكريم ، لم تكن من نسج الخيال او ابتكار المؤلف نفسه ، وان كان قد غذى النصوص ونمّاها وطعمها ، بل هي مواقف رسالية وعقائدية واخلاقية خالدة تمثل الأنسانية في أسمى صورها .

واليـوم ـ ونحن نعيش الثورة الاسـلاميـة المبـاركـة في ايـران ـ حيث لا شـرقيـة ولا غـربيـة ، بـل عـــودة الى نبـع الاسـلام العذب الصـافي الأصيل ، تجـد الثورة نفسهـا ازاء مهمّـات جسام ، تـأتي التربيـة في الصدارة منهـا . فبعـد ان عـــاث الاستعمـار وعمـلاؤه في النفـوس فســاداً ، وسعى لاحلال الفكر الغربي محل الفكـر الاسلامي ، وبعـد ان نأى المسلمـــون عن ينـابيعهم الثـــرة التي لا تنضب وشخصيتهم الاسـلامية المميـزة ، بعد كـل ذلك مـاذا يتحتم عـلى المعلم المربّي أن يفعل ؟

لكـــل مـــربّ ـ في الحقيقـــة ـ اسـلوبـــه الخـــاص في التـربيـة ، ولقـد ا ختـار معلمنـا الشهيـد ـ في مؤلفـــه هـذا اسلوب القصة ، لمـــا للقـصـــة من وقـــع كـبـــير في النـفس الأنسانية ، ولمـا لها من تـأثير فعـال على القـارىء الملم الذي تنطبع قصص ابطال الاسلام وشخصياته المرموقـة في ذاكرتـه انطباعـاً ، فيهتدي بهـا ، سيما ان لـه في سيرة الأئمة الأطهار وصحبهم الأبرار ، أسوة حسنة .

ومن جهـة اخرى ، فـان « قصص الابـرار » متعـددة الـدروس ، متنوعـة المضامـين ، الا انّها تلتقي برمتهـا عنـد هـدف ، وهو خلق الشخصيـة الاسـلاميـة الملتـزمـة ، التي تلتمس منـارات الهـدى والصـــلاح في طـريقهـــا الشـائـــك

الطويل ، ولا بدّ لها- تبعا لذلك -من ان تتزوّد بخير الزاد وهو التقوى ، وعليه فان القارىء المسلم سيجد في القصص التي بين يديه ثمار الحكمة والموعظة الحسنة ، كما يجد فيها مكارم الاخلاق ، والترفع عن الصغائر والعفو عن المسيء ، وكظم الغيظ ، والتواضع ، ومقابلة الاساءة بالأحسان ، وغير ذلك كثير . فانت ازاء العطاء الاسلامي للانسانية المتعطشة للنبل والخير والحق والفضيلة .

وفضلا عن هذه القصص ، فان للباحث الشهيد كتابات فلسفية ، وأخرى اجتماعية ، وثالثة اخلاقية ، ورابعة فقهية ، وخامسة تأريخية ، تصبّ كلها في مجرى واحد وهو ، عرض الاسلام في انقى صورة .

بقي ان نذكر ان « قصص الابرار » تقع في جزءين ، يضمّ الجزء الأول (٧٥) قصه ويحتوي الثاني على (٥٠) قصة اخرى ، والذي يقرأ هذا الأثر الخالد للمعلم الشهيد مطهري ، يعرف السرّ في ذيوع صيته لدى قراء الشهيد ومريديه .

والله نسأل ان يوفقنا للسير على خطى الشهيد ، وان نقتدي بالأبرار في قصصهم ، انه نعم الموفق .

وآخر دعوانا ان الحمدلله ربّ العالمين

المترجم

(١)

النبي (ص) وفريقان من اصحابه [١]

دخل النبي (ص) ذات يوم مسجد المدينة فشاهد جماعتين من الناس ، كانت الجماعة الأولى منشغلة بالعبادة والذكر ، والأخرى بالتعليم والتعلّم . فألقى عليهما نظرة فرح واستبشار وقال للذين كانوا برفقته مشيرا الى الفئة الثانية : ما احسن ما يقوم به هؤلاء ! ثم اضاف قائلاً : انما بعثت للتعليم ! ثم ذهب وجلس مع الجماعة الثانية .

(٢)

الرجل الذي طلب المساعدة

بينما كان يستعرض صور ماضية المليء بالمشقة ويتذكر

---

(١) منية المريد ص ١٠ .

الايـام المرّة التي خلفهـا وراءه ، كـالايـام التي لم يكن قـادرا فيهـا على الحصـول على القـوت اليـومي لـزوجتـه واطفـالـه المساكين. بينما كان كذلك واذا بحديث كان سمعه من قبل يـطرق سمعه ثـلاث مرات ممـا بعث فيه العـزم وغيّر مسيـرة حياته وأنقذه مع عائلته من اسر الفقر والنكبة .

فبعد ان رأت زوجته ان الفقر المدقع قد بلغ أوجه ، اشـارت عليه بـأن يذهب الى النبي (ص) ويعلمـه بحالتـه المتدهورة تلك ويطلب منه العون والمساعدة .

فمضى من سـاعتـه الى النبي (ص) ليخبـره بمـا اقترحت عليه زوجته ، وقبل ان يتفوه بحاجتـه ، سمع هـذا الحـديث من النبي (ص) : « مَنْ سَـأَلَنـا أعـطَيْنـاهُ وَمَنِ اسْتَغْنَى أغْناهُ اللَّهُ » .

فلم يقـل شيئـا وعـاد الى بيتـه بخفّي حُنـين ، ومن شـدة وطأة الفقـر اضطر الى ان يـذهب الى النبي (ص) في اليـوم التالي لـطلب المساعـدة ، واذا بالحـديث نفسه يـطرق سمعه للمرة الثـانية « من سـألنا اعـطيناه ومن استغنى اغنـاه الله » .

وعـاد كما في المـرة الأولى الى بيتـه من دون ان يـظهـر حاجته إلّا انـه وجد نفسـه في قبضة الفقـر لا مناص منهـا ،

فنهض قاصدا النبي (ص) للمرة الثالثة . وما أن سمع حديث الرسول (ص) حتى غمر الاطمئنان قلبه لانه احسّ بأن مفتاح مشكلته بيده فخرج وهو يسير بخطوات واثقة مرددا في نفسه : لن اطلب معونه العباد ابداً ، سأعتمد على الله واتوكل عليه فهو حسبي ، وسأستعين بما وهبني عز وجل من قوة ، وما التوفيق الاّ من عند الله .

وبينما هو في غمرة الافكار استوقفه سؤال : ترى ما العمل الذي بمقدوري ان أعمله ؟

وفجأة خطر له ان يذهب الى الصحراء ويحتطب ، فاستعار معولا وشقّ طريقه نحو الصحراء ، جمع مقدارا من الحطب ، جاء به الى المدينة ، باعه ، فذاق لذة تعبه وحلاوة كدحه . ولم يزل هذا ديدنه حتى استطاع ان يشتري له ناقة وغلامين وكلّ ما يحتاجه من لوازم لعمله ، واذا به يصبح ذا ثراء وغلمان . وذات يوم التقى النبي (ص) فأخبره وكيف انه جاءه لطلب المساعدة فابتسم النبي (ص) وقال اتذكّر انني قلت حينها « من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله » .[1]

---

(١) اصول الكافي ج ٢ ص ١٣٩ .

(٣)

طلب الدعاء

دخل على الامام الصادق (ع) رجل في حالة يرثى لها من الاضطراب والقلق والانفعال ، وقال له : « يا مولاي ، أدع لي الله ان يرزقني ، لأنني كما تراني فقير لا املك قوت يومي » .

فقال الامام (ع) : « لن ادعو لك ! »

فتعجب السائل قائلا : « ولم لا تدعو لي يا مولاي ؟ ! » .

فرّد الامام قائلا : « انّ الله تبارك وتعالى أمرنا بالسعي في طلب الرزق وعدم التواكل ، أما اذا اردت ان تجلس في بيتك وتتوسل الى رزقك بالدعاء فهذا ما لا يرضاه الله فاسع الى طلب الرزق كما امرك الله ! »[1] .

(٤)

عقل الناقة

ظهرت آثار التعب والانهاك على قافلة الرسول

---

(١) الوسائل ج ٢ ص ٢٩ د .

(ص) ، بعد ان قطعت في المسير شوطا طويلا . ولما وجدت الماء الذي كانت تفتش عنه لتنزل بالقرب منه ، ألقت عصا الترحال ونزل الصحابة ثم أناخوا مراكبهم المجهدة ، كما نزل النبي (ص) مع اصحابه ، ثم اتجهوا نحو الماء يريدون الصلاة . الاّ ان النبي (ص) سرعان ما قفل راجعا الى ناقته مما أثار عجب الصحابة ، فظنوا انه لم يرتض هذا المكان منزلاً ويريد ان يأمرهم بالسير فقالوا له : الى اين تريديا رسول الله ؟

فقال : « اعقل ناقتي »

« نحن نعقلها يا رسول الله » .

فقال (ص) : « لا يستعن احدكم بغيره ولو بقضمة من سواك »[1] .

(٥)

صديق في طريق الحج

عندما عاد من الحج أخذ يقصّ على الامام الصادق (ع) ما حدث له في سفره مع رفاقه الذين كانوا معه. ،

---

(١) كحل البصر ص ٦٩ .

فكان يثني على احدهم خاصة لانه كان رجلا زاهدا عابدا تقيا ، ثمّ علق قائلا : « لقد كنّا نفخر بصحبته يا مولاي ولقد كان مشغولاً بالطاعة والعبادة على الدوام ، وكنّا ما أن ننزل بمكان حتى ينتحي هو ناحية يشتغل بالطاعة والعبادة فيها » .

وهنا سأله الامام الصادق (ع) : « من ذا الذي كان ينجز اعماله اذا ؟ »

« نحن الذين كنا نقوم بذلك لانشغاله بالعبادة التي لم يكن له شأن سواها » .

فقال له الامام : « فتلعلموا اذاً انكم كلكم افضل منه »!

(٦)

على مائدة الطعام

ما أن ترّجل النبي (ص) واصحابه وخففوا عن مراكبهم احمالها حتى استقر رأيهم على ان يذبحوا شاة ويعدّوها غداء لهم .

فقال احدهم « عليَّ ذبحها » .

وقال الثاني : « عليٌّ سلخها » .

وقال الثالث : « عليٌّ طبخها » .

وقال الرابع : « . . . . . » .

ثم قال النبيّ (ص) : « أما أنا فعليّ جمع الحطب » .

فقال الصحابة : « نحن نكفيك يا رسول الله » .

فقال (ص) : « اعلم ذلك ، إلاّ انني اكره ان اتميز عليكم فان الله يكره من عبده ان يرى نفسه متميزا بين اصحابه » .[1] ثم قام (ص) وجمع مقدارا من الحطب وأتى به .

(٧)

القافلة التي تريد الحج[2]

قافلة من المسلمين كانت تقصد مكة المكرمة ، وما ان وصلت الى المدينة حتى القت عصا الترحال والقت

---

(١) كحل البصر ص ٦٨ .

(٢) بحار الانوار ج ١١ ص ٢١ .

بثوب التعب عنها ، ثم واصلت السير ـ بعد ايام ـ شطر مكة المكرَّمة .

وفي الطريق بين مكة والمدينة وفي احد المنازل صادف رجال القافلة شخصا كان يعرفهم وفي اثناء الكلام معه جلب انتباهه شخص كان مشغولاً بخدمة القافلة وادارة شؤونها ، وكان آثار الصلاح والصالحين بادية عليه ، فعرفه للوهلة الأولى وسأل الرجال بتعجب ! أتعرفون من هذا الرجل المشغول بخدمتكم وانجاز اعمالكم ؟

ـ لا ، لا نعرفه ، انه التحق بقافلتنا في المدينة ، رجل زاهد ، صالح ، ذو ورع وتقوى ، يرغب ان يشترك في انجاز اعمال الأخرين ومساعدتهم دون ان نطلب منه مساعدة او انجاز عمل .

ـ نعم ، انكم لا تعرفونه ، فلو عرفتموه لم تكلوا اليه اعمالكم .

فقالوا مستغربين : من هو ؟

ـ انه عليّ بن الحسين ـ زين العابدين .

فنهض رجال القافلة ، وتقدموا صوب الامام (ع) معتذرين نادمين .

فقال (ع) : انما رغبت بكم رفقاء للسفر لانكم لا

تعرفونني ، ولانني عندما أسافر مع الذين يعرفونني لا يدعوني اعمل شيئا ، ولهذا فانني ارغب ان اسافر مع الذين لا يعرفونني كي احظى بخدمتهم .

(٨)

المسلم والذميّ

كانت الكوفة فيما مضى محطّ انظار الدولة الاسلامية ، وكانت انظار المسلمين عامة ، ما عدا الشام ، متوجهة اليها تنتظر ما يصدر فيها من أمر وترقب ما يتخذ فيها من قرار .

ومن محاسن المصادفات ان التقى خارجها ، ذات يوم من الايام . مسلم وذميّ فسأل احدهما الآخر عن الجهة التي يطلبها .

فقال المسلم : أنا اريد الكوفة .

وقال الذميّ : أما أنا فأريد مكاناً قريباً منها .

ثم اتفقا ان يسيرا معا ويقطعا طريقهما بالتحدث الى بعضهما . ولأنسجامهما في الحديث لم يشعرا بمضّي الوقت ولا طول الطريق ، الى ان وصلا الى مفترق الطرق ،

فتعجّب الذميّ لما رأى ان رفيقه المسلم يترك طريق الكوفة ويواصل السير معه ، اذ ذاك سأله : ألست زعمت انك تريد الكوفة ؟

ـ بلى .

ـ فلم عدلت اذاً ؟ هذا ليس طريق الكوفة .

ـ اعلم ذلك ، فمن حسن الصحبة عندنا ان يشيع الرجل صاحبه هنيهة اذا ما فارقه ، وبهذا امرنا نبينا محمد (ص) .

فقال الذمي : لا غرو ان يتبعه من تبعه لا خلاقه الحميدة وافعاله الكريمة ، وها أنا أشهدك اني على دينك[1] . ورجع معه فلما عرف انه امير المؤمنين (ع) ، أسلم .

(٩)

في ركاب الخليفة

عند مسيره الجهادي الى الشام ، مرّ الامام علي

---

(١) اصول الكافي ج ٢ « باب حسن الصحبة وحق الصاحب في السفر » ص ٦٧ .

(ع) بمدينة الانبار التي كان يقطنها الفرس ، فخرج لاستقباله دهاقينها وفلاحوها وترّجلوا والتفّوا حوله مزدحمين لشدة استبشارهم بقدومه .

فقال (ع) : ما هذا الذي صنعتموه ؟

قالوا : خلق منا نعظم به امراءنا .

فقال (ع) : والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم وانكم لتشقون على انفسكم في دنياكم ، وتشقون به في آخرتكم وما أخسر المشقة وراءها العقاب ، وأربح الدعة معها الامان من النار [1] .

(١٠)

الامام الباقر والنصراني

اراد رجل نصرانيّ ان يستهزىء بالامام محمد بن علي بن الحسين (ع) الملّقب بـ (الباقر) ، فقال له : انت بقر . وبكلّ سماحته ولطفه أجابه الباقر (ع) : لا ، انا الباقر . فمضى النصراني يمعن باستخفافه بالامام فقال : أنت ابن الطبّاخة ، تلك هي حرفتها ! أنت ابن السوداء

---

(١) نهج البلاغة ـ الكلمات القصار ـ ٣٧ .

الزنجية البذيئة .

فأجابه الامام : ان كنت صدقت غفر الله لها وان كنت كذبت غفر الله لك .

ان صفح الامام (ع)وحلمه في الوقت الذي كان فيه قادراً على ان يرّد الصاع صاعين أوجد في نفس النصراني وروحيته انقلاباً أدّى بالنتيجة الى اسلامه[1] .

(١١)

النبي (ص) والاعرابي

قدم المدينة اعرابي من البادية وذهب الى المسجد كي يظفر بمال من النبي (ص) فرأى النبي (ص) جالسا بين جماعته واصحابه . فدنا الاعرابيّ وأظهر حاجته طالباً من النبي (ص) ان يساعده . فاعطاه النبي (ص) شيئا ، إلّا ان الأعرابي لم يقنع وعدّ ما أعطي قليلاً وتفوّه على النبي (ص) بالخشن البذيء من الكلام مما أثار نار الغضب لدى اصحابه ، فقاموا للاعرابي يطرحونه ارضا فحال النبي (ص) بينهم وبينه ، ثم خرج مصطحبا الاعرابيّ الى بيته فزاده شيئا ، ولما تبيّن للاعرابي ان حال النبي (ص) لا

---

(١) البحار ج١١ ص ٨٣ .

يشبه حال الملوك والامراء ، أظهر الرضا والامتنان قائلا : جزاك الله من اهل وعشيرة خيرا ، فقال له النبي (ص) : انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي من ذلك شيء وأنا اخشى ان يصيبك منهم اذى ، فان احببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك » . فاستجاب الاعرابي لذلك ، فلما كان الغد اخذ الاعرابي طريقه الى المسجد فوجد النبي (ص) واصحابه جالسين ، فالتفت النبي (ص) الى اصحابه وقال : « ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي » ثم سأل الاعرابي : « أليس كذلك ؟ » فقال الاعرابي : « نعم » وكرر ما قاله بين يدي رسول الله (ص) : « جزاك الله من اهل وعشيرة خيراً » .

وهنا التفت النبي (ص) الى اصحابه قائلا : « مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت منه فأتبعها الناس فلم يزيدوها إلاّ نفوراً، فناداهم صاحبها : خلّوا بيني وبين ناقتي فأنا أرفق منكم بها وأعلم ، فتوجه لها بين يديها فأخذها من قمام الارض فرّدها حتى جاءت واستناخت وشدّ عليها رحلها ثم استوى عليها . واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار »[1] .

---

(١) كحل البصر ص ٧٠ .

(١٢)

الامام الحسين والرجل الشامي [١]

دخل عصام بن المصطلق المدينة لشأن كان يطلبه ، فرأى الحسين بن علي (ع) فأعجب لما رآه فيه من هيبة ووقار فثار في نفسه ما كان يخفيه من حسد لعلي (ع) : فقال مخاطبا الامام الحسين (ع) : « أأنت ابن ابي تراب » ؟

ـ نعم .

فبالغ ابن المصطلق في شتمه وشتم ابيه .

فنظر اليه الحسين (ع) نظرة عاطف رؤوف ثم قال : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : خذ العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين ، واما ينزغنك من الشيطان نزغ فآستعذ بالله انه سميع عليم . ان الذين اتقوا اذا مسهّم طائف من الشيطان تذكّروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدّونهم في الغيّ ثم لا يصرون . ثم اردف الأمام قائلا : هوّن عليك ، استغفر الله لي ولك ، انك لو استعنتنا لأعنّاك ولو

---

(١) نفثة المصدور ص ٤ .

استرفدتنا لأرفدناك ولو استرشدتنا لأرشدناك ثم سأله : أمن اهل الشام انت ؟

ـ نعم

فقال الامام (ع) : « انت رجل غريب ، ابسط لنا حاجتك وما يعرض لك تجدني عند افضل ظنك ان شاء الله تعالى » .

فضاقت الارض على عصام بما رحبت وودّ لو ساخت به ثم انصرف عن الامام وما على الارض احبّ اليه من الحسين ومن ابيه (ع) .

(١٣)

الرجل الذي طلب النصيحة[١]

أتى المدينة رجل من البادية وذهب الى النبي (ص) يستنصحه فقال له النبي (ص) : « لا تغضب » .

وعندما رجع الى قبيلته أُخبر بأن بعض صبيانها سرقوا مالاً من قبيلة اخرى فعوملوا بالمثل ، فاسفرت النتيجة باصطفاف القبيلتين للقتال واشعال نار الحرب ، فلم سمع الاعرابي بهذا الخبر اضطرمت نار الغضب في

(١) اصول الكافي ج ٢ ص ٤٠٤ .

داخله ، فقام وطلب سرحه والتحق بصف قومه . وبينما هو كذلك اذا بشريط الذكريات يتوالى في ذهنه فتذكّر انه ذهب الى المدينة وطلب من النبي ان ينصحه ، وكانت نصيحة النبي (ص) له : « لا تغضب » .

ساعتئذ ثاب الاعرابي الى رشده ورجع اليه عقله ، ففكر في نفسه : « فيم الإنفعال ؟ ما هذا الاستعداد للحرب والقتال ؟ وفيم الغضب من غير ما سبب » ؟ واذا بنصيحه الرسول (ص) تدعوه الى نصح زعماء اعدائه فناداهم قائلا : يا قوم علام هذا النزاع ؟ ان كان لكم من جراحه او قتل او ضرب ليس فيه أثر فعليّ في مالي أنا أوفيكموه ، فليس هنالك من سبب للقتال وسفك الدماء .

فلما سمع زعماء القوم كلامه تحركت في نفوسهم الغيرة والشهامة وقالوا : « فما كان فهو لكم ، ونحن اولى بذلك منكم » فتصالح الطرفان ورجع الصفان كلّ الى قبيلته .

(١٤)

المسيحي ودرع الامام علي (ع)[1]

كان الامام علي (ع) يأبى الترفع عن رعاياه في

(١) الامام على صوت العدالة الانسانية ص ٦٣ .

المخاصمة والمقاضاة ، بل وكان يسعى الى المقاضاة اذا استوجب الامر ذلك لما أشيع فيه من روح القسط والعدالة . من ذلك أنه وجد درعه عند عربي مسيحي من عامة الناس ، فأقبل له الى احد القضاة ، اسمه « شريح » ليخاصمه ويقاضيه . ولمّا مثلا امام القاضي قال الأمام علي (ع) : « انها درعي ولم ابع ولم أهب » فسأل القاضي الرجل المسيحي : ما تقول فيما يقول امير المؤمنين ؟ فقال النصراني : « ما الدرع الاّ درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب » .

وهنا التفت القاضي شريح الى علي يسأله : « هل من بيّنة تشهد على ان هذه الدرع لك » ؟ فضحك عليّ وقال : « أصاب شريح ، مالي بيّنة » فقضى شريح بالدرع للرجل المسيحي ، فأخذها ومشى ، وامير المؤمنين ينظر اليه . إلاّ ان الرجل لم يخط خطوات قلائل حتى عاد يقول : « أما أنا فأشهد ان هذه اخلاق الأنبياء . أمير المؤمنين يدينني الى قاضي يقضي عليه ! ثم اردف قائلا : « الدرع والله درعك يا امير المؤمنين وقد كنت كاذبا فيما ادعيت » .

وبعد مرور مدة على ما حدث ، شهد الناس هذا الرجل وهو من اصدق الجنود وأشد الابطال بأساً وبلاءً مع

الامام علي (ع) في قتاله ضد الخوارج يوم النهروان .

(١٥)

الامام الصادق وجماعة من الصوفية [١]

دخل سفيان الثوري على الامام الصادق (ع) فوجده مرتدياً ثياباً بيضاً ظريفة كأنها غرقيء البياض[٢] فقال للامام معترضا : « ان هذا ليس من لباسك ، ويجب ان لا تلوث نفسك بزينة هذه الدنيا الزائلة كما ان عليك ان تزهد فيها وحلّي نفسك بالتقوى » .

فقال (ع) : « اسمع مني وع ما اقول لك فانه خير لك عاجلاً وآجلاً ان كنت انت متّ على السنة والحق ولم تمت على بدعة من الممكن تجسّد امام عينيك الوضع البسيط للرسول وصحابته في ذلك الوقت . أخبرك ان رسول الله (ص) كان في زمان جشب[٣] . فاذا اقبلت الدنيا فأحق اهلها بها ابرارها لا فجّارها ، ومؤمنوها لا

---

(١) تحف العقول ص ٣٤٨ ـ ٣٥٤ ، الكافي ج ٥ ص ٦٥ ـ ٧١ .

(٢) غرقيء البياض : القشرة الرقيقة الملتصقة ببياض البيض .

(٣) الجشب : القفر ، خلو الارض من الماء والكلأ ، والجشب من الطعام الغليظ الخشن .

منافقوها ، ومسلموها لا كفارها ، فما الذي تنكره عليّ يا ثوري ، فوالله واني لمع ما ترى ، ما أتى عليّ مذ صرت راشدا ، صباح ولا مساء ولله في مالي حق امريء أن اضعه موضعاً الاّ وضعته » .

فخرج سفيان من عند الامام (ع) بدون ان يرّد عليه بقول . ثم دخل على الامام (ع) قوم ممن يظهرون الزهد ويدعون الناس ان يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشف[1] .

فقالوا : انّ صاحبنا الثوري قد أرتج عليه ولم تحضره حجة .

فقال (ع) لهم : هاتوا حججكم ؟

فقالوا : اننا نستنبط حججنا من كتاب الله تبارك وتعالى .

فقال (ع) : فأدلوا بها ، فانها احقّ ما اتبع وعمل به .

فقالوا : يقول الله تبارك وتعالى مخبراً عن قوم من خاصة الرسول (ص) « ويؤثرون على انفسهم ولو كان

---

(١) التقشف : ترك النظافة والترف ، ضد التنعم .

بهم خصاصة ، ومن يوّق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »[1] .

وقال سبحانه في موضع آخر :

﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ﴾[2] .

فقام رجل من الجالسين وقال : أنا ما رأيتكم قطّ تزهدون في الطيب من الطعام ومع ذلك تأمرون الناس بالزهد في اموالهم حتى تتمتعوا انتم بها .

فقال الامام (ع) : دعوا عنكم ما لا ينتفع به ، أخبروني أيّها النفر ألكم علم بناسخ القرآن من منسوخة ، ومحكمه من متشابهه الذي في مثله ضل من ضل وهلك من هلك من هذه الامة ؟

فقالوا له : بعضه ، فأمّا كلّه فلا .

فقال الامام الصادق (ع) : من ههنا أتيتم ودخل عليكم البلاء وأصابكم ما اصابكم . وأمّا ما ذكرتم من اخبار الله ايّانا في كتابه عن القوم الذين اخبر عنهم لحسن فعالهم ، فقد كان مباحا جائزا ولم يكونوا قد نهوا عنه ،

---

(١) سورة الحشر ـ آية : ٩ .

(٢) سورة الدهر الآية ٨ .

وثـوابهم منه عـلى الله ذلك انـه جلّ وعـلا أمـر بخـلاف مـا عملوا به فصار أمره ناسخا لفعلهم وكان نهيـه تبارك وتعـالى هدى للمؤمنين ورحمة ، لكيلا يضروا بأنفسهم وعيـالاتهم ، لأن منهم الضعفة الصغار والولدان والشيـخ الفاني والعجـوز الكبيـرة ، الذين لا يصبـرون عـلى الجـوع ـ فـاذا تصـدّقت بـرغيفي ولا رغيف لي غيره ضـاعوا وهلكوا جوعـا . ولهـذا قـال رسـول الله (ص) : تمـرات ، او خمس قـرص ، او دنانير او دراهم يملكهـا الانسان ويـريد ان ينفقهـا فانّ أولهـا وافضلهـا ما انفقـه الانسان عـلى والديـه ، ثم الثـانيـة عـلى نفسه وعياله ، ثم الثالثة على القرابة واخـوانه المؤمنـين ، ثم الرابعة على جيرانه الفقراء ، ثم الخـامسة في سبيـل الله وهو احسنها أجراً .

وقـال النبي (ص) عندمـا سمع رجـلا من الانصـار انفق عنـد موتـه كلّ مـا يملك وكان لـه اولاد صغـار : « لـو علمتمـوني امره مـا تركتكم تـدفنونـه مـع المسلمـين ، تـرك صبية صغاراً يتكففّون الناس » .

ثم قـال الامـام (ع) حـدثّني ابي البـاقـر (ع) عن النبي (ص) قـال : « ابـدأ بمن تعـول الأدنى فـالأدنى » اضـافـه الى ان القـرآن الكـريم ردّ عـلى قـولكم ونهى عن عملكم حيث قال الله تعالى ﴿ **والـذين اذا انفقوا لم يسـرفوا**

ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾[1] وفي غيرها يقول : ﴿ انه لا يحب المسرفين ﴾[2] فنهاهم عن الاسراف ونهاهم عن التقتير ، وعيّن أمرا بين امرين ، لا ان يعطي جميع ما عنده ثم يدعو الله ان يرزقه فلا يستجيب له ، للحديث الذي جاء عن النبي (ص) « ان اصنافاً من امتي لا يستجاب لهم دعاؤهم » :

أ ـ رجل يدعو على والديه . .

ب ـ ورجل يدعو على غريم[3] ذهب له بمال فلم يكتب عليه ولم يشهد عليه .

ج ـ ورجل يدعو على امرأته وقد جعل الله تخلية سبيلها بيده .

د ـ ورجل يقعد في البيت ويقول أيا رب ارزقني ، ولا يخرج لطلب الرزق .

فيقول الله عز وجل : عبدي : او لم اجعل لك السبيل الى الطلب والضرب في الارض بجوارح صحيحة فتكون قد اعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لاتباع

---

(١) سورة الفرقان الآية ٦٧ .

(٢) الانعام ١٤١ والاعراف ٣١ .

(٣) الغريم : المدين .

امـري ، ولكي لا تكـون كـلاًّ عـلى اهلك ، فـان شئت رزقتك وان شئت قترت عليك وانت معذور عندي .

هـ ـ ورجل رزقه الله مالاً كثيراً فانفقه ثم اقبـل يدعـو يـا رب ارزقني فيقول الله : الم أرزقـك رزقاً واسعـاً ، أفـلا اقتصدت فيه كما امرتك ولم تسرف كما نهيتك ؟

و ـ ورجل يدعو في قطيعة رحم .

ثم ان الله تعـالى علّم نبيه (ص) كيف ينفق مقـداراً من الذهب فكره ان يبيت عنـده شيء منه فتصـدق به جميعـا في يـوم واحد ، وفي اليـوم التـالي جـاءه سـائـل وطلب منـه مسـاعدة ولم يبق مـع النبي (ص) شيء حتى يعطيـه فـاغتّم غـماً شديـداً ، فنزلت الآيـة ﴿ **ولا تجعـل يـدك مغـولـة الى عـنقـك ولا تـبسـطهـا كـلّ البسط ، فتقـعـد ملومـاً محسوراً** ﴾[1] . هذه هي احـاديث الرسـول (ص) والقرآن يؤيد مضامين هذه الاحاديث .

ولقد قيل لابي بكر عندمـا حضرتـه الوفـاة : أوص . فقـال : أوصي بـالخمس والخمس كثـير فـان الله قـد رضي بـالخمس ، فاوصي بـالخمس . وقد جعـل الله عز وجـل له الثلث عند موته ولو علم ان الثلث خير له لاوصى به .

---

(١) سورة الاسراء الآية ٢٩ .

كما جرى على طريقته كل من سلمان وابي ذر الذين عرفا بالزهد والورع والتقى . فأما سلمان فكان اذا اخذ عطاءه ، عزل منه قوته لسنته وادّخره حتى يحضره عطاؤه المقبل . فقيل له يا أبا عبد الله انت في زهدك تصنع هذا وانك لا تدري قد تموت اليوم او غداً ، فكان جوابه لهم : ما لكم لا ترجون لي البقاء كما وصفتموني بالفناء ؟ أو ما علمتم يا جهلة ، ان للنفس ثلثات على صاحبها اذا لم يكن لها من العيش ما تعتمده ، فاذا هي اجرزت معيشتها اطمأنت .

وأما ابو ذر (رض) فكانت له نويقات وشويهات يحلبها ويذبح منها اذا اشتهى اهله اللحم ، او نزل به ضيق ، او رأى بالذين يسعون اليه خصاصة نحر لهم الجزور[1] او من الشياه على قدر ما يذهب عنهم قرم[2] اللحم فيقسمه بينهم ويأخذ بينهم كنصيب احدهم لا يفضل عليهم .

ومن ازهد من هؤلاء؟! وقد قال فيهم رسول الله (ص) ما قال . اعلموا ايّها النفر انني سمعت ابي يروي عن آبائه

---

(١) الجزور : البعير ـ ما ينحر من الابل والغنم والشاه .
(٢) القرم : شدة الشهوة للّحم .

عليهم السلام ، ان رسول الله (ص) قال يوماً : (ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن ان قرّض جلده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيراً له ، وان ملك ما بين مشارق الارض ومغاربها كان خيراً له ، فكلّما يصنع الله عز وجل به فهو خير له) .

فسعادة المؤمن وخيره لا يتوقفان على فقره وسعته ، خير المؤمن وسعادته ينشآن عن ايمانه وعقيدته لانه يعلم بأن وظيفته يجب ان ينجزها سواء أكان ثرياً ام فقيراً . والعجب ان المؤمن يضيّق على نفسه ويعتبر هذا الضيق والفاقه سعاده وخيراً .

ثم استطرد (ع) قائلاً : هل ازيدكم فيما قلت لكم ؟ أو ما علمتم ان الله جل اسمه قد فرض على المؤمنين في اول الامر ان يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين ليس له ان يولّي وجهه عنهم ، ومن ولاّهم يومئذ دبره فقد تبوأ مقعداً من النار . ثم خوفهم من حتفهم ـ رحمة منه ـ فصار الرجل منهم يقاتل رجلين من المشركين تخفيفاً من الله عز وجل عن المؤمنين فنسخ الرجلان العشرة اخبروني ايضا عن القضاة ، أجَوْرٌ منهم حيث يفرضون على الرجل منكم نفقة امرأته ، اذا قال : انا زاهد ولا

شيء عندي ؟ فان قلتم : جور ، ظلمتم اهل الاسلام ، وافتريتم عليهم ، وان قلتم عدل ، خصمتم انفسكم . اخبروني لو كان الناس كلّهم مثلكم زاهداً لا حاجة لهم في متاع غيرهم ، فعلى من كان يتصدق بكفّارات الايمان والنذور والصدقات من فرض الزكاه من الابل والغنم والبقر وغير ذلك من الذهب والفضة والنخل والزبيب ، وسائر ما قد وجبت فيه الزكاة ؟ اذا كان هدف الدين ان يبقى الانسان في فقر وفاقة وضيق وضنك ، وان يعرض عن متاع الدنيا وزينتها ويحبس نفسه في المسكنة والفاقة ، فقد وصل الفقراء الى الهدف السامي ولا يجب ان نعطيهم شيئا من الزكاة حتى لا نخرجهم من سعادتهم وخيرهم الذي يتمتعون فيه ، وهو الفقر والحاجة باعتبار انهم ينعمون بمثل هذه السعادة فيجب ان لا يقبلوا شيئا من هذا القبيل .

اذا كان الامر على ما تقولون فلا ينبغي لاحد أن يحبس شيئا من عرض الدنيا ، إلاّ قدّمه وان كانت به خصاصة ، فبئس ما ذهبتهم اليه ، وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد (ص) واحاديثه التي يصدقها الكتاب المنزل ولكنكم ترفضون احاديث النبي (ص) اذا لم تتفق مع طريقتكم ، وهذا هو

جهل آخر ، فأنتم لم تتدبروا الآيات القرآنية وما تنطوي عليه من د قائق تثير الدهشة والاعجاب ، ولم تميزوا بين الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والأمر والنهي .

اخبروني عن سليمان بن داود (ع) اذ سأل الله ملكا لا ينبغي[1] لاحد من بعده ، فاعطاه الله جلّ اسمه ذلك ، وكان (ع) يقول الحق ويعمل به ثم لم نجد الله عاب ذلك عليه ، ولا احداً من المؤمنين ايضا ، وداود (ع) من قبل في ملكه وشدة سلطته، ثم يوسف (ع) حيث قال لملك مصر (اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم)[2] فاختار مملكة الملك وما حولها الى اليمن فكانوا يحملون الطعام من عنده لمجاعة اصابتهم ، وكان (ع) يقول الحق ويعمل به ، فلم نجد احداً عاب ذلك عليه . ثم ذو القرنين ، عبد احبّ الله فأحبه ، طوى له الاسباب وملّكه مشارق الارض ومغاربها وكان يقول الحق ويعمل به ثم لم نجد احداً عاب ذلك عليه .

فتأدبوا ايها النفر بآداب الله عز وجل ، واقتصروا

---

(١) « وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي » (سورة ص الآية : ٣٥) .

(٢) سورة يوسف (آية : ٥٦)

على أمر الله ونهيه ، ودعوا ما اشتبه عليكم مما لا علم لكم به ، وردوا العلم الى أهله تؤجروا وتعذروا عند الله تعالى ، وكونوا في طلب علم الناسخ من القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه ، وما احلّ الله فيه مما حرّم فانه أقرب لكم من الله وأبعد لكم من الجهل ، ودعوا الجهالة الى اهلها . فان أهل الجهل كثير واهل العلم قليل ، وقد قال الله ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾[1] .

(١٦)

الامام علي (ع) وعاصم بن زياد[2]

من كلام للامام علي (ع) ، بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي ـ وهو من اصحابه ـ يعوده ، فلما رأى سعة داره قال : ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا ، وانت اليها في الآخرة أحوج ، ان شئت بلغت بها الآخرة تقري فيها الضيف ، وتصل فيها الرحم ، وتطلع منها الحقوق مطالعها ، فاذا انت قد بلغت بها الآخرة .

فقال له العلاء : يا أمير المؤمنين اشكو اليك اخي

---

(١) سورة يوسف (آية : ٧٦) .

(٢) شرح ابن ابي الحديد ـ دار الفكر بيروت ـ ص ١٧ ـ ١٨ .

عاصم بن زياد ، قال : وما له ؟ قال : لبس العباء وتخلى من الدنيا . فقال الامام : عليّ به . فلّما جاءه قال له : يا عدو نفسه لقد استهام بك الخبيث ، أما رحمت اهلك وولدك ، أترى الله احلّ لك الطيبات وهو يكره ان تأخذها ، انت أهون على الله من ذلك قال : يا امير المؤمنين هذا انت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك .

قال : ويحك اني لست كأنت ، انّ الله تعالى فرض على أئمة العدل آن يقدّروا انفسهم بضعفة الناس كيلا يتبّيع بالفقير فقره[1] .

(١٧)

المعسر والموسر

دخل رجل فقير ليس عليه ما يستره ، على الرسول (ص) وهو جالس بين اصحابه والى جانبه رجل موسر ، ما أن رأى الفقير بهذه الهيئة حتى جمع اطراف ثيابه دون علم منه ان النبي (ص) يراقبه . فقال له النبي (ص) : جمعت أذيالك اخفت ان يمسّك من فقره شيء ؟

ـ لا

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبة ٢٠٩ .

ـ اخفت ان يصيبه من غناك شيء ؟

ـ لا .

ـ فقال (ص) : فما حملك على ما صنعت ؟

ـ قال : يا رسول الله ان لي قرينا شيطاناً يزين لي كلّ قبيح ويقبح لي كلّ حسن . . واستطرد قائلاً :

ـ اعترف بأنني مخطىء وانا مستعد أن اكفّر عن الخطأ الذي قمت به تجاهه ، بأن اهب له نصف ما املك .

فقال النبي (ص) للمعسر : أتقبل ؟

قال : لا

فقال له الرجل الموسر متعجباً : ولم ؟

قال : اخاف ان يداخلني ما داخلك[1] .

(١٨)

السوقي والعابر[2]

كان مالك الاشتر ضخم الجثة طويل القامة يرتدي

---

(١) اصول الكافي ، ج٢ ص ٢٦٢ ـ باب فضل فقراء المسلمين .

(٢) سفينة البحار مادة شتر ص ٦٨٦ .

قميصا وعمّة ، وقد طبعت الحرب على وجهه اثارها وعلمته بعلائمها وحكت عن بطولاته في ميادينها بتقاسيم وجهه . بينما كان يمشي ذات يوم في سوق الكوفة واذا باحد السوقة تحدّثه نفسه بالازدراء به والاستهزاء بزّيه فرماه ببندقة ، وبدون ان يعيره الاشتر التفاتا واصل السير حتى توارى عن الانظار .

عندها قيل للسوقي : ويحك أتعرف من رميت ؟

ـ لا ، لم اعرفه ، عابر مثل آلاف المارة .

ـ انه مالك الاشتر النخعي صاحب امير المؤمنين (ع) وقائد جيشه .

ـ أهذا هو مالك الذي ترتعد فرائص الأسد خوفاً منه ويرتجف العدّو من اسمه ؟

ـ نعم هو بعينه .

فهرول الرجل من ساعته راكضاً خلف مالك ليعتذر اليه عمّا بدر منه ، إلّا ان مالكاً كان قد دخل احد المساجد ، فلما وصل الرجل وجده قائماً يصلي ، فلّما انتهى من صلاته انكبّ الرجل على قدميه يقبلهما . فقال له مالك : ما هذا ؟

ـ اعتذر اليك عمّا صدر مني ، انا الذي استهزأت

بك وتجرأت عليك .

ـ لا بـأس عليـك ، فـوالله مـا دخلت المسجـد إلاّ لاستغفرن لك .

(١٩)

الغزالي وقطاع الطرق[١]

كـان الغزالي ـ العـالم الاسلامي المشهـور ـ من أهـالي طـوس ، وهي قريـة تقع بـالقرب من مـدينـة مشهـد ، وفي ذلـك الـوقت ، اي في القـرن الخـامس الهجـري ، كـانت مدينة نيشابور مـركزاً للعلم والمعـرفة حيث كـان روّاد العلم يقصدونها من جميع الانحاء .

وكان الغزالي من جملة من جاء الى نيشابـور وجرجـان لـطلب العلم وكسب الفضل ، وقـد حاز فعـلا على جـانب عظيم منهما على يد أساتذةٍ بارعـين . وكانت طـريقة الغـزالي في الـدرس ان يدّون مـا يلقيه عليـه الاستاذ عـلى ورقة حتى لا ينسـاه ، فتكـونت لـديـه من هـذا الـطريق مجمـوعـة من المخطوطات كتبها خلال فترة الدراسة ولّما عزم على الـرجوع

---

(١) نقلا عن كتاب (غزالي نامة) بالفارسية ١١٦ .

الى وطنه جمع هذه المخطوطات ووضعها في محفظة وسار مع القافلة يريد وطنه ، فشاء القدر ان يخرج على القافلة قطاع طرق ليسلبوا كلّ ما في القافلة من مال . فلما وصل دور الغزالي شاهدوا محفظة المخطوطات فأرادوا أخذها منه فتوسل اليهم الغزالي ان يدعوها له ، فظنّوا أنّ في داخلها متاعا ذا قيمة ، فلما فتحوها وجدوا فيها كتباً واوراقاً ، فسألوه ما هذه ؟ وما انتفاعك بها فأجابهم : انها تنفعني ولا تنفعكم .

ـ وما الذي تستفيده من اوراق كهذه ؟

ـ انها ثمرة عدة سنين من الدراسة واذا اخذتموها مني فستضيع معلوماتي كلّها وستذهب اتعابي هباء .

ـ أحقا انّ كلّ ما تعلمته هو في هذه الاوراق ؟

ـ نعم .

فقالوا له ان العلم الذي يكون قابلاً للسرقة ليس بعلم فتركت هذه الكلمة أعمق الاثر في نفسه وأحدثت تغييراً في استعداده وذكائه . اذ انه كان الى ذلك الحين كالببغاء في تعلمه ، يسجلّ كلّ ما معه عن أساتذته على الاوراق ، ولكنه اخذ بعد سماعه لهذه الكلمة يدّرب ذهنه على التفكير ويعوّده على الحفظ ، فكان يدوّن الدورس والمسائل

المهمة في دفتر ذهنه بدلاً من تسجيلها على الورقة . يقول الغزالي عن تأثره بتلك النصيحة الثمينة : انّ من احسن النصائح التي نورّت حياتي الفكرية تلك التي سمعتها من قطاع الطرق .

(٢٠)

ابن سينا وابن مسكويه

تعلّم ابن سينا علوم زمانه ، ولمّا يبلغ العقد الثاني من عمره بعد ، وحاز على درجة ممتازة في الفلسفة والطبيعيات والرياضيات والعلوم الدينية . وبينما كان مشغولاً بالتدريس ذات يوم اذ حضر درسه ابن مسكويه العالم المعروف فرمى ابن سينا جوزة امام ابن مسكويه وقال له بترفع : ما هي مساحة سطح هذه الجوزة ؟ فرّد ابن مسكويه على ابن سينا قائلاً : اصلح اخلاقك أولاً فأنت الى اصلاح اخلاقك احوج من تعيين مساحة سطح هذه الجوزة . ثم اعطاه كتاباً في الاخلاق كان معه . فخجل ابن سينا من هذا وصار قول ابن مسكويه سببا في اصلاح اخلاقه فيما بقي من عمره[1] .

---

(١) (تاريخ علوم عقلي در اسلام) بالفارسية ، ص ٢١١ .

(٢١)

نصيحة زاهد[١]

خرج محمد بن المنكدر ـ الذي كان يعتبر من الزهاد والعبّاد ـ الى خارج المدينة ظهر يوم من أيام الصيف القائظ ، وكانت الشمس تلتهب التهاباً ، فرأى رجلا بدينا متكئاً على غلامين اسودين وقد خرج لمراقبة مزرعة له . فقال في نفسه : من هذا الرجل الذي اخرجه شغل الدنيا في مثل هذا الجو الساخن ؟ لأذهبن اليه واعظنه .

فلما دنا منه ألفاه الامام الباقر (ع) فعجب اشدّ العجب ، وبعد ان سلّم عليه ورد الأمام عليه سلامه وهو يتصبب عرقاً ، قال ابن المنكدر : اصلحك الله ، شيخ من اشياخ قريش ، أفي ساعة كهذه وعلى حالة كهذه خرجت تطلب الدنيا ؟ ماذا سيحدث لو جاءك الموت وانت على هذه الحال ؟

فاستند الامام الباقر (ع) الى جدار ثم أجاب : والله لو جاءني الموت وانا في هذه الحال جاءني وانا في طاعة من طاعات الله تعالى ، اكفّ بها نفسي عنك وعن

---

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ٨٢ .

الناس ، انّما اخاف الموت لو جاءني وانا على معصية من معاصي الله . فتنبه ابن المنكدر الى خطئه حيث كان يظن انه على صواب ، فتوجه الى الامام وقال : يرحمك الله يا أبا جعفر اردت ان أعظك فوعظتني .

(٢٢)

في مجلس الخليفة[١]

كان الخليفة المتوكل يحذر الامام الهادي (ع) ويخاف من التفاف الناس حوله واطاعتهم له ، وكان الوشاة المحيطون بالمتوكل لا يترددون عن القول ان الامام الهادي يسعى للاطاحة بحكم المتوكل ولا يستبعدون ان يوجد في دار الامام ادّله ومستمسكات تشير الى ذلك ، كأن يكون بيته مذخراً للاسلحة ، مما دعا المتوكل ان يرسل رجاله في ليلة من الليالي التي خيّم فيها السكون على البلدة وسلّط النوم كابوسه على الابصار ، لتفتيش بيت الامام واحضار الامام (ع) الى مجلس الخليفة الذي كان ثملاً آنذاك ، يناجي غوانيه وندماءه .

عندما دخل رجال المتوكّل على الامام (ع) وجدوه

---

(١) بحار الانوار ج ٢ ص ١٤٩ .

مشغولاً بالعبادة لا يلهيه عن ذكر الله لاهٍ . ولما فتشوا زوايا الدار لم يجدوا مرادهم فاكتفوا بأن اخذوا الامام معهم واحضروه الى المتوكل .

كان المتوكل سكرانا عندما دخل الامام عليه ، فأمر زبانيته ان يجلسوا الامام الى جانبه ، فلّما جلس الامام (ع) قدّم المتوكل له خمراً فامتنع الإمام عن شربه فقبل المتوكل امتناعه على ان يسمع الحاضرين شعراً غزلياً ، فامتنع الامام مرة اخرى ، إلّا ان المتوكل لم يقبل منه هذه المرة ، فشرع الامام (ع) ينشد هذه الابيات :

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم
غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم
واسكنوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا
اين الاساور والتيجان والحلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما اكلوا دهراً وما شربوا
فاصبحوا بعد ذاك الاكل قد أكلوا

ولما أنشد الامام (ع) هذه الابيات، صحا المتوكل من سكره وتقاطرت دموعه على خديه وطلب من الامام العفو والصفح.

وهكذا انفض مجلس الخليفة، وهكذا استطاع نور الحق ان يبزغ بالحقيقة فيزيل ضباب الباطل.

(٢٣)

صلاة العيد[1]

عندما انتصر المأمون بذكائه وتدبيره على اخيه الامين واصبحت الخلافة الاسلامية تحت سيطرته ونفوذه، كتب الى الامام الرضا (ع) يطلب منه الحضور في مرو ـ حيث كانت في ذلك الوقت جزء من خراسان، فاعتذر الامام (ع) باعذار كثيرة ولكن اصرار المأمون عليه ومكاتبته له اجبراه على الخروج من المدينة والتوجه الى مرو لعلمه ان المأمون لا يكفّ عن دعوته، ولّما وافى (ع) مرو عرض عليه المأمون أمر الخلافة؛ فأبى (ع) لانه كان يعلم بنوايا المأمون، وجرت بين الطرفين في هذا الموضوع مخاطبات كثيرة استمرت زهاء شهرين، اصرار من قبل المأمون

---

(١) بحار الانوار ج٢ ص ٣٩.

وامتناع من قبل الامام (ع) . وعندما وجد المأمون ان لا سبيل له الى ذلك ، عرض على الامام (ع) ولاية العهد فأجابه (ع) الى ذلك وفق شروط فقبل المأمون وكتب (ع) : اني ادخل في ولاية العهد على ان لا امر ولا انهي ولا اقضي ولا اغيّر شيئا فيما هو قائم وتعفيني من ذلك كلّه . فأجابه المأمون الى كل شروطه ، كما انه دعا الناس الى الدخول في بيعة الامام (ع) وكتب بذلك الى البلدان وضربت الدراهم والدنانير باسمه وخطب له على المنابر ، وما أن حلّ عيد الفطر حتى بعث المأمون الى الامام (ع) يطلب منه ان يصلي صلاة العيد بالناس لتطمئن قلوبهم بهذه الدولة المباركة فأجابه الامام (ع) قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخولي هذا الامر .

فقال المأمون : انما اردت بذلك ان ترسخ مسألة ولاية العهد في قلوب الجند والعامة .

ولّما رأى الامام الحاح المأمون قال : ان أعفيتني من ذلك فهو احبّ اليّ وان لم تعفني خرجت كما كان يخرج رسول الله (ص) وكما خرج امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) . فقال المأمون : اخرج كما تحب ! .

وفي صباح العيد اجتمع القوّاد والاعيان والاشراف على باب الدار ينتظرون خروجه ، وقعد سائر الناس في

ولما أنشد الامام (ع) هذه الابيات، صحا المتوكل من سكره وتقاطرت دموعه على خديه وطلب من الامام العفو والصفح.

وهكذا انفض مجلس الخليفة، وهكذا استطاع نور الحق ان يبزغ بالحقيقة فيزيل ضباب الباطل.

(٢٣)

صلاة العيد[1]

عندما انتصر المأمون بذكائه وتدبيره على اخيه الامين واصبحت الخلافة الاسلامية تحت سيطرته ونفوذه، كتب الى الامام الرضا (ع) يطلب منه الحضور في مرو - حيث كانت في ذلك الوقت جزء من خراسان، فاعتذر الامام (ع) باعذار كثيرة ولكن اصرار المأمون عليه ومكاتبته له اجبراه على الخروج من المدينة والتوجه الى مرو لعلمه ان المأمون لا يكفّ عن دعوته، ولّما وافى (ع) مرو عرض عليه المأمون أمر الخلافة؛ فأبى (ع) لانه كان يعلم بنوايا المأمون، وجرت بين الطرفين في هذا الموضوع مخاطبات كثيرة استمرت زهاء شهرين، اصرار من قبل المأمون

(١) بحار الانوار ج٢ ص ٣٩.

وامتناع من قبل الامام (ع) . وعندما وجد المأمون ان لا سبيل له الى ذلك ، عرض على الامام (ع) ولاية العهد فأجابه (ع) الى ذلك وفق شروط فقبل المأمون وكتب (ع) : اني ادخل في ولاية العهد على ان لا امر ولا انهي ولا اقضي ولا اغيّر شيئا فيما هو قائم وتعفيني من ذلك كلّه . فأجابه المأمون الى كل شروطه ، كما انه دعا الناس الى الدخول في بيعة الامام (ع) وكتب بذلك الى البلدان وضربت الدراهم والدنانير باسمه وخطب له على المنابر ، وما أن حلّ عيد الفطر حتى بعث المأمون الى الامام (ع) يطلب منه ان يصلي صلاة العيد بالناس لتطمئن قلوبهم بهذه الدولة المباركة فأجابه الامام (ع) قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخولي هذا الامر .

فقال المأمون : انما اردت بذلك ان ترسخ مسألة ولاية العهد في قلوب الجند والعامة .

ولّما رأى الامام الحاح المأمون قال : ان أعفيتني من ذلك فهو احبّ اليّ وان لم تعفني خرجت كما كان يخرج رسول الله (ص) وكما خرج امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) . فقال المأمون : اخرج كما تحب ! .

وفي صباح العيد اجتمع القوّاد والاعيان والاشراف على باب الدار ينتظرون خروجه ، وقعد سائر الناس في

الطرقات ينتظرون موكبه (ع) ، كما ان كثيرا من النساء والاطفال كانوا قد صعدوا على السطوح لكي يشاهدوا عظمة الموكب وما ان طلعت الشمس حتى خرج الامام الرضا (ع) وبالشكل الذي اشترطه على المأمون ، فاغتسل ولبس عمامة بيضاء والقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفيه وشمر ثم قال لجميع مواليه : افعلوا مثل ما فعلت ثم اخذ بيده عكازه وخرج حافي القدمين ، مشمراً سراويله الى منتصف الساق ولمّا رفع صوته قائلاً : الله اكبر ! ردد معه اصحابه التكبير بصوت واحد فتخيل الناس ان الارض والسماء كانتا ترددان معه التكبير ، فلمّا طلع الامام (ع) على الناس بهذه الصورة وشاهده القوّاد أثر ذلك في نفوسهم تأثيراً عظيماً فرموا سلاحهم وزينتهم وكانوا قد تزّينوا باحسن الزينة ولبسوا السلاح وركبوا مراكبهم وتهيئوا بأبهى هيئة .

ثم وقف الامام (ع) على باب الدار وقال بصوت مرتفع الله اكبر ، الله اكبر على ما هدانا ، الله اكبر على ما رزقنا من بهيمة الانعام والحمد لله على ما آبتلانا .

وكرر الناس ما قاله الامام (ع) بصوت مرتفع وبنغمة واحدة فلم يتمالكوا انفسهم من البكاء فسالت الدموع وعلا الصراخ وهاجت أحاسيس الناس وتحرّكت

نفوسهم فلم تمض على هذا الحال مدة حتى ضجت « مرو » ضجة واحدة وانفجر الجميع بالبكاء .

كان الامام (ع) يقف بعد كلّ عشر خطوات وقفة ويكبّر الله اكبر اربع مرات والناس تردّد معه فكان يخيل للسامع ان السماء والارض قد اشتركتا في الترديد معه . وقد بلغ من تهيّج احساسيس الناس في ذلك اليوم انهم نسوا الحياة الدنيا وتركوا كلّ مظاهر العظمة والابهة وساروا مع الامام (ع) بكل حرارة وشوق نحو المصلى .

وقد بلغ المأمون ذلك حيث اخبره به الفضل بن سهل قائلاً : ان الرضا (ع) بلغ المصلى وقد افتتن الناس به ، والرأى ان تسأله ان يرجع ، فبعث اليه المأمون وطلب منه الرجوع فعاد الامام (ع) ولما التقى المأمون قال له : الم أطلب منك ان تعفيني من هذا الامر من قبل ؟

(٢٤)

الاصغاء لدعاء الأم

لم ينم تلك الليلة ، اذ كان يصغي الى دعاء امه التي وقفت في محرابها خاشعة متضرعة. كانت الليلة ليلة جمعة وكان هو يراقب ركوع امه وسجودها وقيامها وقعودها .

ومع انه كان طفلا الا انه فطن الى ان امه انبرت تدعو للرجال وللنساء من المسلمين بالخير والسعادة تذكرهم بأسمائهم وتطلب لهم الرحمة والبركة ولم تدع لنفسها ، ولم تطلب ما كانت تطلبه لهم .

كانت الام فاطمة الزهراء (ع) وكان الولد ابنها الحسين (ع) حيث أمضى ليلته في مراقبة امه وهي تدعو ، وانتظر ان تدعو لنفسها ليرى ما ستطلبه من الباري عز وجل . قضت الليل داعية ضارعة الى ان تبيّن الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم يسمع الحسين (ع) امه تدعو لنفسها قط ، فبادرها بالسؤال قائلاً : لِمَ لَمْ تدعي لنفسك يا اماه كما دعيت لغيرك ؟ فأجابت : يا بُنيَّ الجار ثم الدار[1] .

(٢٥)

أمام القاضي[2]

شكا احد الناس على بن ابي طالب (ع) الى عمر بن الخطاب في خصومة وقعت بينهما ، وكان عمر أميراً

---

(١) بحار الانوار ج١٠ ص ٢٥ .

(٢) الامام علي صوت العدالة الانسانية ص ٤٩ .

للمؤمنين ، فاحضرهما وقال لعلي (ع) : قف يا ابا الحسن الى جانب خصمك فبدا التأثر على وجه الامام علي .

فقال له عمر : أكرهت يا علي ان تقف الى جانب خصمك ؟

فقال الامام (ع) : لا يا امير المؤمنين ولكني رأيتك لم تسوّبيني وبينه ، اذ عظمتني بالتكنية ولم تكنّه .

(٢٦)

في منىٰ

كان الامام الصادق (ع) مع بعض اصحابه بمنى ، وقد اجتمعوا حوله ، وكان بين ايديهم عنب يأكلون منه ، فمرّ بهم سائل وطلب منهم مساعدة ، فتناول الامام (ع) عنقوداً من العنب واعطاه اياه ، فرفض السائل اخذه قائلاً : ان كان درهماً .

فقال الامام (ع) : يسع الله عليك ، فذهب السائل ثم رجع وقال : هاتوا العنقود فقال الامام (ع) : يسع الله عليك . ولم يعطه العنقود .

ولم تمض لحظات حتى مرّ عليهم سائل آخر وطلب

المساعدة ايضا فاعطاه الامام (ع) مقداراً من العنب، فقال: الحمدلله رب العالمين الذي رزقني. فلما سمعه الامام (ع) قال له: مكانك. ثم ملأ كفيه عنبا وناوله اياه فأخذه السائل قائلا: الحمد لله رب العالمين. فقال له الامام مكانك. ثم توجه الى احد اصحابه وسأله: كم من الدارهم معك؟ فاذا معه نحو عشرين درهما فأخذها الامام (ع) وناولها للسائل. فنطق هذا بشكر الله للمرة الثالثة قائلاً: الحمدّ لله هذا منك وحدك لا شريك لك. وما ان سمع الصادق (ع) منه هذا حتى خلع قميصه واعطاه للسائل، وهنا قال السائل: الحمدّ لله خيرا. ثم انصرف. يقول اصحاب الامام (ع): ظننا انه لو لم يدع له، لم يزل يعطيه، لأنه كلما كان يعطيه، حمد الله [1]

(٢٧)

رافعو الاثقال[2]

مرّ رسول الله (ص) بقوم يرفعون احجاراً فقال: ما هذا؟ فقالوا: نختبر اشدّنا واقوانا فقال: ألا اخبركم بأشدكم وأقواكم؟

---

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ١١٦.

(٢) وسائل الشيعة ج ٢ ص ٤٦٩.

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال (ص) : أشدكم وأقواكم الذي اذا رضي لم يدخله رضاه في اثم ولا باطل . واذا سخط لم يخرجه سخطه عن قول الحق ، واذا ملك لم يتعاط ما ليس له بحق .

(٢٨)

المسلم الجديد (١)

مما ينقل عن الامام الصادق (ع) انه قال : كان لرجل مسلم جار كافر ، فكانا يتحدثان حول الاسلام احيانا ، ولم يزل المسلم يزيّن الاسلام في نظر جاره الكافر حتى أسلم . كان الوقت سحراً حينما سمع النصرانيّ الحديث الاسلام قرعاً على الباب ، فتساءل : من الطارق ؟

أنا فلان ، وعرّف نفسه ، فكان جاره المسلم .

قال : ما حاجتك في وقت كهذا ؟

فناداه أن توضأ بسرعة وارتد ثيابك حتى نذهب الى

(١) وسائل الشيعة ج ٢ ص ٤٩٤ .

المسجد لاداء الصلاة . توضأ الرجل النصراني الذي دخل الاسلام حديثا وخرج مع رفيقه المسلم ، ولاول مرة في حياته ذهب الى المسجد . . . كان الوقت يقترب من الفجر فصلّيا كثيراً حتى حان وقت صلاة الصبح فأدّيا الفريضة واشتغلا بالدعاء حتى أضاء الصباح العالم بنوره ، فأراد المسلم الجديد ان يذهب الى منزله فقال له رفيقه المسلم :

ـ الى اين ؟

ـ اريد ان اعود الى منزلي ، لقد أدّينا فريضة الصلاة ولم يعد لنا من عمل .

ـ فيم العجلة ، لنقرأ تعقيبات الصلاة حتى بزوغ الشمس .

فاستجاب المسلم الجديد ومكث مكانه وانشغل بذكر الله حتى بزغت الشمس ، فنهض ليذهب فطلب صاحبه منه ان يقرأ القرآن حتى يرتفع النهار واوصاه ان ينوي نيّة الصوم لذلك اليوم وقال له : انت تعلم كم هو ثواب الصوم وفضيلته ؟

ولمّا حان وقت الظهر قال المسلم : اصبر قليلاً ، اذ لم يبق بينك وبين الظهر الاّ قليل ، ثم أدّ فريضة الظهر بعد دخول وقتها ، وبعد ان أنهيا صلاة الظهر قال المسلم

لرفيقه انّ صلاة العصر على وشك ان يحين وقتها وفضيلتها ان تؤدى في وقتها .

وبعد صلاة العصر قال المسلم : لم يبق من النهار شيء فأجبر رفيقه على البقاء حتى صلاة المغرب وبعد صلاة المغرب اراد المسلم الجديد ان يغادر المسجد الى بيته فلم يوافق رفيقه المسلم حيث قال له : لم يبق امامنا غير فريضة واحدة وهي فريضة العشاء فصلاها وذهب الى منزله .

وفي سحر الليلة الثانية سمع بابه تقرع فسأل : من الطارق ؟

ـ انا جارك فلان ، توضأ بسرعة والبس ثيابك حتى نذهب معاً الى المسجد .

ـ انا من دينك هذا قد استغنيت ، اذهب وفتّش عن شخص اكثر بطالة مني ، يستطيع ان يقضي وقته في المسجد ، انا انسان فقير وصاحب عيال ويجب ان اعمل طلباً للرزق .

بعد أن نقل الامام الصادق (ع) هذه الحكاية الى اصحابه قال : وهكذا فان هذا العابد الذي ادخل هذا المسكين في الاسلام هو الذي اخرجه منه ، فلتكن لكم في ذلك عبرة فلا تضّيقوا على الناس . . فللناس طاقات

وقابليات متفاوتة فيجب معاملتهم على ضوئها . أما علمتهم ان امارة بني أمية قامت بالسيف والعسف ، وانّ امامتنا تقوم بالرفق والألفة والوقار والتقيّة وحسن الخلطة والورع والاجتهاد ، فرغّبوا الناس في دينكم وما انتم فيه .

(٢٩)

على مائدة الخليفة[١]

شريك بن عبد الله النخعي من الفقهاء المعروفين في القرن الثاني الهجري ومشهور بالزهد والتقوى والعلم . وكان الخليفة المهدي العباسي يرغب في ان يفوّض له منصب القضاء ، ولكنه كان يرفض ذلك ويتجنب مساعدة الظالم ، فضلاً عن انه كان يرفض طلب الخليفة العباسي في ان يكون معلما لأولاده .

وذات يوم ارسل المهدي على شريك ، وقال له : لا بدّ ان تجيبني الى واحدة من ثلاث : إما أن تتولى القضاء ، أو تحدّث ولديّ وتعلمهما ، أو تأكل معنا اكلة .

• فكر شريك في الاختيارات الثلاثة ثم قال : الاكلة

---

(١) مروج الذهب ـ طبع مصر ـ ص ٣٤٧ .

اخفّهن عليّ ، فأمر المهدي الطباخ باعداد الوان من الاطعمة الشهية ، فلّما فرغ شريك من غذائه قال القيّم على المطبخ للخليفة : لن ينجو الشيخ بعد هذه الأكلة أبداً !

ولم تمض مدة طويلة حتى ولّي شريك منصب القضاء ، وصار معلما لأولاد الخليفة وقد عيّن له مرتبا من بيت المال . وفي يوم ما حدث نزاع بين شريك ومدير المال حول مرتب شريك ، فقال له مدير المال : انك لم تبع براً .

فرد شريك : بلى والله لقد بعت اكبر من البر ، لقد بعت ديني !! .

(٣٠)

شكاية الجار[1]

جاء رجل الى النبي (ص) وشكا اليه اذى من جاره ، فقال له النبي (ص) : اصبر لعله يغير طريقته .

---

١) اصول الكافي ج ٢ ص ٦٦٨ ـ باب حق الجوار .

وبعد مدة جاءه مرة ثانية ، فقال له النبي (ص) : اصبر !

ثم جاء مرة ثالثة فقال له النبي (ص) : اذا كان يوم الجمعة اخرج اثاث بيتك وضعه على قارعة الطريق حتى يراه من يذهب لصلاة الجمعة فأذا سألوك فاخبرهم بالخبر . ففعل الرجل بوصية الرسول (ص) فأتاه جاره معتذرا وقال له : ردّ متاعك الى بيتك فلك الله عليّ ان لا أعود .

(٣١)

شجرة التمر [1]

روى زرارة عن ابي جعفر (ع) قال :

ان سمرة بن جندب كان له عذق في حايط لرجل من الانصار وكان منزل الانصاري بباب البستان فكان يمرّ به الى نخلته ولا يستأذن ، فكلّمه الانصاري ان يستأذن اذا جاء ، فابىٰ سمرة فجاء الانصاري الى رسول الله (ص) فشكا اليه واخبره الخبر . فأرسل الرسول الى سمرة واخبره بقول الانصارى وشكايته ، ثم قال له : اذا

---

(١) وسائل الشيعة ج ٣ ص٣٢٩ .

اردت الدخول فاستأذن ، فأبى ، فلما ابى ساومه الرسول (ص) حتى بلغ به من الثمن ما شاء الله ، فأبى ان يبيع ، فقال الرسول (ص) : لك بها عذق يمدّ لك في الجنّة فلم يقبل فقال رسول الله (ص) للأنصاري : اذهب واقلعها وارم بها اليه ، فإنّه لا ضرر ولا ضرار .

(٣٢)
في بيت ام سلمة [1]

ذهب النبي (ص) الى بيت ام سلمة ليمضي ليلته هناك . وعندما اسدل الظلام سدوله وضرب السكون سرادقه على البيت ، نهض النبي (ص) من فراشه دون ان تحسّ به أم سلمة ، وانتحى زاوية من البيت ، فلّما انتبهت دهشت لعدم وجوده في الفراش ، فداخلها ما يداخل النساء عادة ، فهبّت تطلبه في جوانب البيت فألفته قائماً في زاوية منه يدعو ويبكي ويقول :

اللّهم لا تنزع مني صالح ما اعطيتني أبداً ، اللّهم لا تشمت بي عدواً ولا حاسداً أبدا ، اللّهم ولا تردني

---

(١) بحار الانوار ج ٢ ـ الطبعة القديمة ص ٢٠٠ ـ (باب مكارم أخلاقة وسيرته وسنته) .

سوء استنقذتني منه أبداً ، اللهم ولا تكلني الى نفسي طرفة عين أبداً .

فأثرت فيها حالة الرسول تلك تأثيراً شديداً ، فانفجرت باكية ، فانتبه النبي (ص) لبكائها ، فذهب اليها وسألها : ما يبكيك ؟

فأجابت : لِمَ لا ابكي ؟ ! انت بالمكان الذي انت به من الله ـ ومع هذا تسأله ان لا يكلك الى نفسك طرفة عين أبداً ، فكيف بي ؟

فقال (ص) . يا ام سلمة ، وما يؤمنني وقد وكل الله يونس بن متى الى نفسه طرفة عين وكان منه ما كان .

(٣٣)

السوق السوداء[١]

عندما ازدادت عائلة الامام الصادق (ع) واصبح القيام بمهامها ثقيلا ، صمم عليه السلام ان يشتغل بالتجارة ، فاعطى الى مولاه مصادف الف دينار وقال له : تَجهّز حتى تسافر الى مصر . اخذ مصادف رأس المال

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ١٢١ .

اشترى به بضاعة لها سوق رائجة عند أهل مصر واتجه لى هناك مع جماعة من التجار .

عندما بلغ التجار أبواب مصر صادفوا قافلة خارجة منها فسألوا تجارها عن سوق بضاعتهم فاخبروهم بنفاذ البضاعة وبحاجة الناس اليها ففرح التجار القادمون الى مصر واتفقوا أن لا يبيعوا الاّ بربح مضاعف .

وهكذا دخلوا مصر فرحين لما وجدوا من حاجة الناس لبضاعتهم فلم يبيعوها الاّ بما كانوا قد اتفقوا عليه فأوْجدوا من جراء ذلك سوقا سوداء لبضاعتهم .

رجع مصادف الى المدينة فرحا بما عاد به من ربح مضاعف ، فلما دخل على الامام الصادق (ع) واعطاه رأس المال مع الربح ، سأله الامام عن كيفية كسب هذا الربح الكثير ، فأخبره بما جرى من لقاء القافلة الخارجة من مصر وكيف انهم علموا بشحّة البضاعة وحاجة الناس اليها وكيف انهم اتفقوا على البيع بالربح المضاعف .

فقال الامام (ع) : سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين الاّ تبيعوهم الاّ بربح الدينار دينارا ، ثم أخذ الف دينار فقط وقال : هذا رأس المال ولا حاجة لنا في هذا الربح ثم اضاف قائلاً : يا مصادف مجادلة السيوف أهون من طلب الحلال .

(٣٤)

المتخلف عن القافلة[١]

صوت ضعيف قادم من بعيد ، اخذ يطرق اسماع القافلة . . كان صاحبه يستغيث من حادث ألم به ، طالبا المساعدة ، بركت ناقته من شدة ما اصابها من الاجهاد والظمأ ، فاضطر الى الترجل علّه يستطيع انهاضها من جديد .

في هذا الوقت وصل النبي (ص) ، اذ كان يسير في أخريات القافلة يساعد العاجز ويغيث الضعيف . فلما سمع استغاثة الشاب اسرع اليه وسأله : من انت ؟

ـ أنا جابر يا رسول الله .

ـ ما شأنك ؟

ـ بركت ناقتي ولم أفلح في حثّها على المسير .

ـ أمعك عصا ؟

ـ نعم يا رسول الله .

---

(١) بحار الانوار ج ٦ ص ٢٠٤ ـ الطبعة القديمة .

ـ هاتها .

فلما اخذ النبي (ص) العصا ضرب الناقة ثم انهضها ثم اناخها وقال لجابر اركب . ركب جابر وأخذ يسير مع النبي (ص) والنبي (ص) يلاطفه ويمازحه فسأله :

ما ترك ابوك عبد الله من الولد ؟

ـ سبع نسوة (اي سبع فتيات) .

ـ أعليه دين ؟

ـ نعم .

ـ اذا قدمت المدينة فقاطع الغرماء ، فان ابوا فانتظر فاذا حضر جذاذ نخلكم فأذنّي (اي اخبرني) .

ـ ان شاء الله .

ـ هل تزوجت ؟

ـ نعم .

ـ بمن ؟

ـ بفلانة بنت فلان ، كانت بالمدينة .

ـ هلاّ تزوجت بفتاة تلاعبها وتلاعبك ؟

ـ كـان عندي نسـوة خرق فكـرهت ان اتيهن بـامـراة خرقاء ، فرأيت ان هذه أجمع لأمري .

ـ اصبت واحسنت . بكم اشتريت جملك ؟

بخمس اوراق من الذهب .

ـ بهذه القيمة اشتـريناه فـاذا بلغنا المـدينة فتعـال وخذ قيمته ، ولّما وصلوا المـدينة اخـذ جابـر جمله وذهب الى النبي (ص) ليعـطيـه مـا وعـده . فقـال النبي (ص) لبـلال : اعـطه خمس اوراق من ذهب يستعين بهـا في دين ابيه ـ عبـد الله ـ وزده ثـلاثاً واردد عليـه جمله . ثم قـال لجـابـر : هـل قاطعت غرماء ابيك ؟

ـ لا .

ـ أترك ابوك وفاء دينه .

ـ لا .

ـ لا عليك ، اذا حضر جذاذ نخلكم فاذني .

فلما حضر جـذاذ النخـل اذن جـابـر النبي (ص) ، فـدعا لهم فجّـذذوا واستوفى كـل غريم مـا كان يـطلب تمـرا وبقي لجابر من التمر ما يكفيه واكثر .

(٣٥)

شسع النعل[١]

ذهب الامام الصادق (ع) ذات يوم مع نفر من اصحابه الى قريب له يريد تسليته ، فبينما كان يمشي مع اصحابه اذ انقطع شسع نعليه فأخذه بيده ومشى حافيا ، فلما رآه ابن ابي يعفور يفعل ذلك وكان من كبار صحابته (ع) خلع شسع نعله وناوله الى الامام (ع) كي يمشي بنعل ، فاعرض عنه الامام غير راض بما فعله وقال : ان صاحب المصيبة اولى بالصبر عليها .

(٣٦)

الفرزدق وهشام[٢]

مع ان هشام بن عبد الملك كان وليا للعهد في ذلك الوقت الذي بلغت فيه الدولة الاموية اوج عظمتها وتسلطها . الاّ انه لم يستطع الوصول الى (الحجر الاسود) ـ بعد ان اتم طواف الكعبة ـ بالرغم من محاولاته اليائسة .

---

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ١١٧ .

(٢) بحار الانوار ج ١١ ص ٣٦ .

كان حجاج بيت الله الحرام يرتدون لباسا واحدا هو لباس الاحرام ، وكانوا مشغولين باعمال واحدة هي اعمال الحج ، وكانوا غارقين باحاسيسهم الاخروية التي تشغلهم عن كل شخصية ومقام فكانوا بذلك سواسية لا يفرق بينهم شيء .

أما هشام فكان قد جلب معه الرجال والحشم ليحفظوا له ابهته وفخامته ، وكان هؤلاء صاغرين ازاء عظمة الحج وسموّه المعنوي .

كرّر هشام محاولته اليائسة للمس الحجر ولكنه رجع خائبا لشدة الازدحام واجتماع الخلق ، فأمر بأن ينصب له عرش على مكان مرتفع حتى يقيّظ له النظر الى الحجيج وليملأ عينيه وليتفرج على هذا الاجتماع المهيب .

وبينما هو وحاشيته على هذه الحال اذ شاهد رجلاً يعلو سيماءه التقوى والورع ، يغطي جسمه قميص ابيض مثل سائر الحجاج ، بدأ بالطواف حول الكعبة ثم توجه بخطوات مطمئنة يريد لمس الحجر الاسود ، فلما رآه الناس انفرجوا قسمين وتنحّوا عنه هيبة وإجلالا .

دهش الشاميّون لهذا المنظر العجيب ولم يستطع احدهم ان يمسك نفسه عن ان يسأل هشام قائلا : من هذا يا امير المؤمنين؟

فأجاب هشام : لا اعرفه .

والحقيقة ان هشاماً كان يعرفه حقّ المعرفة الاّ انه قال ذلك حتى لا يرغّب اهل الشام به .

ترى من الذي يملك الجرأة في تعريف هذا الشخص . . ومن ذا الذي لا يخاف سيف هشام وسطوته ، فيقدم على تعريف الرجل الشامي بهذا الرجل ؟

لم يوجد من هو اشجع من الفرزدق الذي لم يبال بما سيلحقه من تشرّد واذى ان هو أجاب ، فقال : انا اعرفه !

فقال الشاميّ : من هو يا أبا فراس ؟

فأنشا الفرزدق قصيدته الغراء في مدح الامام زين العابدين ، علي بن الحسين (ع) والتي منها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلم
ولَيس قولك : من هذا ؟ بضائره
العرب تعرف من انكرت والعجم

فغضب هشام لسماع هذه القصيدة وقال للفرزدق : الا قلت فينا مثلها ؟ فقال الفرزدق : هات جدا كجده وأبا كأبيه وأما كأمه حتى اقول فيك مثلها ؟ فأمر هشام بحبسه في (عسفان) بين مكة والمدينة فحبس ولكنه لم يأبه بذلك ، فلما بلغ خبره علي بن الحسين (ع) بعث اليه باثني عشر الف درهم وقال : اعذرنا يا ابا فراس فلو كان عندنا اكثر من هذا لوصلناك به ، فرّدها الفرزدق وقال :

يا ابن رسول الله ما قلت فيك الذي قلت الاّ غضباً لله ورسوله وما كنت اريد ان أرزق عليه شيئاً . فردها الامام (ع) ثانية اليه وقال : بحقي عليك ، تقبلها فقد رأى الله مكانك وعلم نيّتك ، عند ذلك قبلها الفرزدق .

(٣٧)

البيزنطي [1]

كان احمد بن محمد بن ابي نصر البيزنطي عالما كبيراً من علماء عصره ، وكان يداخله شك في امامة الرضا (ع) ، ولكنه اعتقد بها اخيرا بعد ان جرت بينه وبين الامام (ع) مكاتبات ومناقشات واسئلة واجوبة .

---

(١) بحار الانوار ج ١٢ ص ١٤ .

وذات يوم قال للامام (ع) : يا ابن رسول الله اشتهي ان تدعوني الى دارك في وقت تعلم انه لا مفسدة لنا في الدخول عليكم فيه من الاعداء ، لأستفيد منك وانهل من علمك . فارسل له الامام (ع) مطيته ذات يوم ، وكان الوقت اول الليل ودعاه الى بيته .

ركب البيزنطي المطية واتجه الى بيت الامام (ع) ، وجلس معه هناك الى ان مضى شطر من الليل طويل كان البيزنطي خلاله يعرض على الامام مشاكله ويطرح عليه اسئلته والامام (ع) يحلّها ويجيب عليها ، فلما حلّ ونت النوم قال الامام (ع) لغلامه : هات الثياب التي انام فيها لينام فيها البيزنطي ؟ فرح البيزنطي كثيراً وتمنى لو ان له اجنحة يحلّق بها فلم يعد جلده يسعه ولا رجلاه يحملانه لشدة ما هو فيه من فرح . فقال في نفسه : هل هناك من هو أسعد مني ،أنا الذي بعث الامام بمطيته اليّ وجلس معي تلك الجلسة وها هو يأمر لي بثياب نومه .

كان الامام (ع) قد لاحظ سيماء الغرور والانتشاء بادية على البيزنطي ، وكان قد اتكأ على يديه يريد النهوض ، الاّ انه جلس ثانية وقطع سلسلة افكار البيزنطي بقوله : يا أحمد لا تفخر على اصحابك بذلك فان صعصعة بن صوحان مرض فعاده امير المؤمنين علي بن ابي طالب

(ع) ووضع يده على جبهته وجعل يلاطفه فلما اراد النهوض قال : يا صعصعة لا تفخر على اخوانك بما فعلت لك فاني انما فعلت ما فعلت لتكليف يجب عليّ .

(٣٨)

عقيل وعلي[1]

قدم عقيل على اخيه عليّ ايام خلافته فقال (ع) لابنه الحسن (ع) اكس عمك ، فكساه قميصاً ورداء من ملابسه الخاصة ، فلما حضر العشاء فاذا هو خبز وملح فقال عقيل : ما هذا؟ فقال (ع) : او ليس هذا من نعمة الله ، ولله الحمد .

فقال عقيل : اعطني ما أقضي به ديني وعجل سراحي حتى ارحل عنك .

قال (ع) : فكم دينك ؟

قال : مائة الف درهم .

فقال (ع) : لا والله ما هي عندي ولا املكها ولكن انتظر حتى الصباح كيما يخرج عطائي فاواسيكه ولو

---

(١) بحار الانوار ـ طبعة تبريز ـ ج ٩ ص ٦١٣ .

لا انه لا بدّ للعيال من شيء لاعطيتك كلّه .

فقال عقيل : بيت المال في يدك وانت تسوّفني الى عطائك ، وكم عطاؤك وما عساه يكون لو اعطيته كلّه ؟

فقال (ع) : ما أنا وانت فيه الاّ بمنزلة رجل من المسلمين . . . وفي ذلك الوقت ، كان الامام (ع) وعقيل جالسين فوق قصر الامارة مشرفين على صناديق اهل السوق ، فقال على (ع) لاخيه : ان أبيت ما أقول فانزل الى بعض هذه الصناديق فاكسره وخذ ما فيه ، فقال عقيل : وما في هذه الصناديق ؟

قال (ع) : فيها اموال التجار .

قال : أتامرني ان اكسر صناديق قوم قد توكلّوا على الله ووضعوا اموالهم فيها ؟

فرّد الامام (ع) قائلا : أتامرني ان افتح بيت مال المسلمين فاعطيك اموالهم وقد توكلوا على الله فيه ؟

ثم اضاف (ع) قائلا : فان شئت اخذت سيفك واخذت سيفي وخرجنا معا الى الحيرة فان بها تجاراً ميسّرين . . ندخل على بعضهم فنأخذ ماله .

فقال عقيل مستغربا : او سارقا جئت حتى افعل هذا ؟

فقال (ع) : نسرق من واحد خير من ان نسرق من المسلمين جميعا .

(٣٩)

الحلم المرعب (١)

الحلم الذي رآه ارعبه كثيراً الى درجه ان الصور المخيفة التي رآها في الحلم ظلّت تتجسد امامه ، فلم يتمالك نفسه من الخوف ، فالتجأ الى الامام الصادق (ع) وقال له : رأيت فيما يراه النائم أن شبحا من خشب او رجلا منحوتا من خشب يمتطي فرسا من خشب ويلّوح بسيفه ، فاستيقظت فزعا مرتعداً وها أنا جئتك لعلّي أجد عندك تفسيراً لهذا الحلم .

فقال الامام (ع) : انك تريد ان تسلب ملك رجل ، فاتق الله الذي خلقك ثم يميتك وآنصرف عن تصميمك .

فقال الرجل : اشهد انك قد اوتيت علما واستنبطته من معدنه ، ان رجلا من جيراني عرض عليّ ضيعتا

---

(١) وسائل الشيعة ج ٢ ص ٥٨٢ .

فهممت ان استحوذ عليها عنوة لما علمت ان ليس لها طالب غيري .

(٤٠)

في ظلة بني ساعدة[١]

كان الظلام قد خيّم على المدينة بجناحيه السوداوين ، والمطر قد بلّل وجه الارض بدموعه المنهمرة ، فانتهز الامام الصادق (ع) ظلمة الليل وهدوءه فخرج من بيته قاصداً (ظلة بني ساعدة) . وشاء القدر ان يشاهده في تلك الساعة (معلّى بن خنيس) وكان من اصحابه ومحبيه فتساءل في نفسه : اين يريد الامام في هذا الليل يا ترى ؟ والله لا ادعه وحده في ظلمة الليل الموحشة ، فمشى خلف الامام يراقبه والامام (ع) لا يعلم به . وبينما هو يقتفي اثر الامام اذ سمع فجأة ان شيئا سقط من كتف الامام (ع) وتبعثر على الارض ، وسمع الامام يقول : بسم الله اللهم ردّه الينا .

فتقدم من الامام وسلّم عليه فعرفه الصادق (ع) من صوته فقال له : أمعلّى انت ؟

---

(١) وسائل الشيعة ج ٢ ص ٤٩ .

ـ نعم جعلت فداك . وحانت منه التفاتة الى الارض ، فاذا هو بخبز كثير قد تناثر عليها .

فقال الامام (ع) : التمس بيدك الارض فما وجدت من شيء فهاته .

وبعد ان جمع معلى الخبز من على الارض وناوله الى الامام ، علم ان الامام عجز عن حمل جراب الخبز فسقط منه على الارض ، لذلك استأذن من الامام ان يحمل الجراب بدلاً عنه .

فقال الامام (ع) : لا ، أنا أولى به منك ، ولكن تعال معي .

سارا معاً والامام يحمل الجراب على كتفه حتى بلغا ظلة بني ساعدة ، فاذا هم بقوم فقراء نيام ، لان الظلة كانت ملجأ الفقراء ومأوى المساكين والضعفاء . فجعل الامام يدسّ الرغيف وَالرغيفين حتى اتى على آخرهم فانصرف هو ومعلى .

قال الامام (ع) لمعلّى : صدقة الليل تطفيء غضب الرّب وتمحو الذنب وتهوّن الحساب .

(٤١)

تحية اليهود[١]

دخل يهودي على النبي (ص) وعائشة جالسة عنده ، وبدل ان يقول (السلام عليكم) قال : (السام عليكم) يعني (الموت لكم) ولم تمضِ فترة حتى دخل آخر وقال مثلما قال الاول فرّد عليه النبي (ص) كما ردّ على رفيقه ثم دخل ثالث فقال مثلما قال الاول والثاني فرّد النبي (ص) عليه كما ردّ على صاحبيه .

غضبت عائشة لهذا المشهد غضبا شديدا لانه لم يكن عفوا ووليد المصادفة ، بل كان تدبيرا لاجل ايذاء النبي (ص) فقالت : (عليكم السام) والعذاب واللعنة يا معشر اليهود ، يا اخوة القردة والخنازير .

فقال النبي (ص) : يا عائشة ان الفحش لو تجسد لكان على أقبح صورة ، الرفق لم يوضع على شيء قط الاّ زانه ولا يرفع عنه قط الاّ شانه فلماذا غضبت هذا الغضب الذي افقدك اتزانك ؟

---

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ١١٠ .

ـ يا رسول الله الم تسمع ما قالوا ؟

ـ بـلى ، ولكن امـا سمعت مـا رددت بـه عليهم ، فقلت : عليكم ، وحسبهم بهذا جواباً[1] .

(٤٢)

رسالة من ابي ذر[2]

فتح ابو ذر الـرسالـة التي وصلته فـوجدهـا قادمـة من مكـان بعيد ، ومن رجـل يعرف ابـا ذر وشخصيته ومكـانته من النبي (ص) واطـلاعـه الـواسـع بـاحـاديث الـرسـول (ص) ونصـائحه وحكمـه ، ولذا فهـو يـطلب في رسـالتـه نصيحة من ابي ذر جامعة .

عنـدمـا انتهى أبـو ذر من قـراءة الـرسـالـة كتب في جـوابها : لا تعـاد احبّ الناس اليـك ولا تسيء اليـه . فلما وصل الجواب الى الرجل وقـرأه لم يفهم منه شيئـا ، فتساءل في نفسـه : ماذا يـريد ابـو ذر بهـذا ، لا تعـاد احبّ النـاس اليـك ؟ ان هـذا ـ لعمـري ـ لمن اوضـح الـواضحـات ، أفيعقـل ان يعـادي الانسـان احبّ محبـوب لـديـه وان يسيء

---

(١) وسائل الشيعة ج ٢ ص ٢١٢ .

(٢) ارشاد الديلمي .

اليه فالذي أدريه انه ليس فقط لا يسيء اليه بل ويفديه بماله وروحه . ثم فكرّ في نفسه مليّا وقال : يجب ان لا انسى شخصية كاتب هذه الوصية ، انه ابو ذر ، انه لقمان هذه الأمّة وحكيمها ، فلأطلب منه توضيحا لما أوصاني به فكتب اليه رسالة اخرى طالباً منه توضيح ما كتب .

فكتب ابو ذر في الجواب : انّ مقصودي من احبّ واعزّ الاشخاص لديك هو نفسك . ولست اقصد شخصا آخر ، فأنت تحب نفسك اكثر مما تحب الآخرين ولذلك قلت لك : لا تسيء الى احبّ الناس اليك ومعناه ان لا تسيء الى نفسك ، الا تعلم بأن كلّ ذنب وكلّ جرم يرتكبه الانسان يعود ضرره على نفسه ؟

(٤٣)

الاجر غير المقطوع[1]

خرج سليمان بن جعفر الجعفري مع الامام الرضا (ع) لانجاز بعض الاعمال ، فلّما انقضى النهار وجرّت الشمس اذيالها نحو الغروب ، اراد سليمان ان يذهب الى

---

(١) بحار الانوار ١٢ ص ٣١ .

منزله فقال له الامام (ع) : تعال معي وبت عندي الليلة . فلبّى سليمان رغبة الامام (ع) وذهب معه الى بيته .

قال سليمان ، فلما دخل الامام (ع) الى البيت وجد غلمانه يبنون بالطين وفضلات الدواب ومعهم رجل اسود، فسألهم : من هذا الرجل الذي معكم ؟ فقالوا : يعاوننا ونعطيه شيئا .

قال (ع) : قاطعتموه على أجره ؟

ـ لا ، هو يرضى منا بما نعطيه .

فغضب الامام (ع) غضبا شديدا واقبل عليهم بالضرب بالسوط .

قال سليمان فتقدمت نحوه وقلت له : جعلت فداك لم تدخل على نفسك الاذى وتزعجها .

فقال (ع) : اني قد نهيتهم عن مثل هذا غير مرة ، وهو ان لا يعمل معهم احد حتى يقاطعوه اجرته ، واعلم انه ما من احد يعمل لك شيئا بدون مقاطعة ، ثم زدته ثلاثة اضعاف على اجرته إلاّ ظنّ انك قد نقصته اجرته ، واذا قاطعته ثم اعطيته اجرته حمدك على الوفاء فان زدته جبّة عرف ذلك لك ورأى انك قد زدته .

(٤٤)

أحر أم عبد[١] ؟

كانت انغام المعازف والمغنين تلعب بالرؤوس التي لعبت الخمرة بها لعبتها .

وفي الاثناء فتح باب الدار ، واطلت جارية من البيت لترمي بالقاذورات في الطريق فصادفت رجلا مارًا من هناك وقد بدت على سيمائه آثار العبادة والورع فسألها : صاحب هذا البيت حر أم عبد ؟

ـ حر .

ـ صدقت فلو كان عبداً لخاف من مولاه .

ولمّا دخلت البيت ، كانت قد ابطأت بسبب حديثها مع الرجل ، فسألها مولاها : ما أبطأك ؟

فقالت : رجل كان مارا في الطريق تبدو عليه اثار الصلاح والتقوى ، فسألني بكذا وأجبته بكذا .

فلّما انهت حديثها فكرّ مليّاً فيما نقلته اليه سيما في

---

(١) الكنى والالقاب ج ٢ ص ١٥٠ .

هـذه الجملة لو كـان عبـدا لخـاف من مـولاه . حيث وقعت عـلى قلبه مـوقع السهم . فخـرج حافيـا يريـد الـرجـل فلما وصـل اليه وجـده الامام مـوسى بن جعفر (ع) فتـاب على يده معتذراً ولم ينتعل من يومه ذاك حتى مات .

كان قبل ذلك اليوم يعرف بابي نصر بشر بن الحارث بن عبـد الـرحمن المـروزي وبعـد صـار يعـرف بـ (بشر الحافي) .

كـان الحـارث قبـل ذلـك من اصحـاب المعـازف والمـلاهي ولكن قول الامـام (ع) اثر في نفسـه وكـان سببـا الى توبته فاصبح عارفا عابدا زاهدا .

(٤٥)

في الميقات[1]

حـجّ مـالـك بن أنس فقيـه المـدينـة مـرة مـع الامـام الصـادق (ع) فلّما وصلا الميقـات وارتـديـا ثيـاب الاحـرام وشرعا بالتلبية وآستوت بالامام (ع) راحلته ، حانت التفاتـة من مـالـك فـوجـد حـال الامـام (ع) انقلبت فكلّما همّ

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ١٠٩ .

بالتلبية أرتج عليه فلا يخرج الصوت من فمه الى ان بلغ به الضعف حداً كاد ان يسقط معه عن راحلته فتقدم اليه مالك وقال : يا ابن رسول الله لا بدّ لك من ان تلّبي . فقال (ع) يا ابن ابي عامر كيف أجسر ان اقول لبيك اللّهم لبيك وأنا اخشى ان يقول لي عز وجل لا لبيك ولا سعديك .

(٤٦)

ثمر النخل (١)

جريا على العادة ، خرج الامام علي (ع) يوما الى خارج المدينة يبتغي الفلاحة في بستانه وكان يحمل وسقا ـ كيسا من نوى ـ فصادف في طريقه رجلا .

فقال له الرجل : ما هذا الذي تحمله يا أبا الحسن ؟

ـ مائة الف عذق ـ نخلة ـ ان شاء الله .

ذهب الامام (ع) وغرس جميع ما كان يحمله في الكيس من النوى وبعد ان تعهدها مدة من الزمن

(١) وسائل الشيعة ج ٢ ص ٥٣١ ، بحار الانوار ج ٩ ص ٥٩٩ .

(٤٧)

ثمرة العمل (١)

مرّ علي بن ابي حمزة البطائني على الامام الكاظم (ع) وهو يعمل في ارضه ويعدها للزراعة بكل جدّ ونشاط بحيث كان يتصبب عرقا ، مما دعا علي بن ابي حمزة الى سؤاله : جعلت فداك ، اين الرجال ؟ لماذا لا تفوّض هذا العمل الى الآخرين ؟

ـ ولِمَ افوّضه الى غيري ؟ يا علي ان أنا عملت بيدي فقد عمل بيده من هو خير مني ومن أبي .

ـ من هو ؟

ـ رسول الله وامير المؤمنين ، وآبائي كلّهم كانوا قد عملوا بأيديهم .

والعمل هو حرفه كلّ الانبياء والمرسلين والاوصياء والصالحين .

---

(١) بحار الانوار ١١ ص ٢٦٦ ، وسائل الشيعة ج ٢ ص ٥٣١ .

(٤٨)

الصداقة التي قطعت [١]

لعله لم يخطر ببال أحد بأن هذه الصداقة سوف تقطع الى الابد وان هذين الرفيقين المتلازمين سينفصلان الى الابد . فالناس كانوا يعرفون أحد الصديقين باسم الآخر اكثر مما يعرفونه باسمه الحقيقي فكانوا ينادونه برفيق الامام الصادق (ع) .

وذات يوم دخل الصديقان سوق الحذائين ، وكان بمعيتهم غلام رفيق الامام ، كان يمشي خلفهم وفجأه التفت رفيق الامام الى الوراء فلم ير غلامه ، فمشى عدة خطوات ثم التفت ثانية فلم يجد غلامه ايضا ، ونظر خلفه للمرة الثالثة فلم يعثر على الغلام ، فلقد كان مشغولا بالنظر الى ما في السوق ، ولما أعاد الكرّه وقع نظره على غلامه فقال له : يا ابن الفاعلة اين كنت ؟ فلّما سمع الامام الصادق (ع) هذا الكلام منه استهجنه ورفع يده وحزب بها جبهته وقال : سبحان الله تقذف امه . كنت ارى ان لك ورعاً فاذا ليس لك ورع .

---

(١) وسائل الشيعة ج ٢ : ٤٨٧ ـ الكافي ج ٢ « باب النداء ص ٣٢٤ .

فقال : جعلت فداك ـ يا ابن رسول الله ـ ان امه سندية مشركة .

فقال (ع) : فلتكن امه كافرة ، أما علمت بأن لكلّ امة نكاحا ، وان ابناءهم ليسوا بأولادنا ثم قال له اليك عني .

ولم يشاهد الامام (ع) بعد ذلك ماشياً مع رفيقه حتى الموت .

(٤٩)

التهوّر[1]

كان ابن المقفع مع حكمته ومع ماله من فضل وبيان ، سليط اللسان جريئه ، بحث ان لسانه وتهوره قتلاه .

حدث ان كتب ابن المقفع كتاب امان لعبد الله بن علي عم المنصور ، كان في جملته : ومتى غدر امير المؤمنين بعمه عبد الله أو بطن غير ما ظهر أو تأوّل في شيء من شروط الامان فنساؤه طوالق ودوّابه حبّس وعبيده وإماؤه

(١) شرح إبن ابي الحديد ـ طبع في بيروت ج ٤ ص ٣٩٨ .

احرار والمسلمون في حِلٍ من بيعته . فاشتد ذلك على المنصور لما وقف عليه ، وسأل : من الذي كتب له الامان ؟ فقيل له : عبد الله بن المقفع كاتب عميّك عيسى وسليمان ابني علي بالبصرة .

فكتب المنصور الى عامله بالبصرة سفيان بن معاوية يأمره بقتله . وكان سفيان يتحيّن الفرص للانقضاض على ابن المقفع لانه كان يعبث ويستخف به دائما ، فلقد قال لسفيان ذات مرة : يا ابن المفتلمة . وكان يعتصم بعيسى وسليمان منه فكتمها سفيان في نفسه . فلما كوتب في امره بما كوتب ، صمم على قتله ، فأرسل عليه جماعة من اهل البصرة يطلبونه ، فجيء به فأدخل به الى حجرة في دهليز وبقي غلامه ينتظره على دابته في باب سفيان ، فصادف ابن المقفع في تلك الحجرة سفيان بن معاوية وعنده غلمانه وتنور نار يسجر ، فبادره سفيان بالقول : اتذكر يوم قلت كذا ، أمي مفتلمة ؟ لأقتلنك ، فقتله قتلة لم يقتل بها احد ثم قطع اعضاءه والقاها في النار حتى اتى على جميع جسده ، ثم خرج الى الناس وكلّمهم ، فلما خرجوا من عنده تخلّف غلام إبن المقفع ينتظره فلم يخرج فمضى واخبر عيسى بن علي واخاه سليمان بما جرى فخاصما سفيان في امره لدى المنصور وقامت البّينة العادلة ان ابن المقّفع دخل دار سفيان حيّا ولم يخرج منها وقامت

الشهادة وطلب سليمان وعيسى القصاص ، فقال المنصور : أرأيتم ان قتلت سفيان بابن المقفع ثم خرج ابن المقفع عليكم من هذا الباب ـ وأومأ الى باب خلفه ، ومن يهب نفسه لي حتى اقتله بسفيان ؟ فسكتوا ورفع الامر وأضرب عيسى وسليمان عن ذكر ابن المقفع بعدها فذهب دمه هدراً .

(٥٠)

الهجاء(١)

كان ابن الرومي ـ علي بن العباس البغدادي ـ شاعراً معروفاً كثير الهجاء واتفق ان كان حاضرا في مجلس الخليفة المعتضد هو والوزير قاسم بن عبيد الله . كان ابن الرومي هجّاءً لا يخشى احدا وكان الوزير يخشى لسانه وينتهز الفرصة للتنكيل به ولكنه لم يكن يظهر ذلك . الاّ انه وجد في هذا المجلس الفرصة سانحة فأمر ان يدسوّا السّم في طعام ابن الرومي ، فلّما تناول ابن الرومي طعامه علم بأن الوزير قاسم قد ظفر بمراده فقام يريد الخروج فقال له الوزير : الى اين تذهب يا ابن الرومي ؟

---

(١) تتمة المنتهى ج٢ ص ٤٠٠ .

ـ الى المكان الذي ارسلتني .

ـ بلّغ تحياتي الى ابي وامّي .

فقال ابن الرومي : انا لا اذهب الى جهنم حتى اراهما فأبلغهما تحياتك ثم ذهب الى بيته حيث كان ينتظره أجله .

(٥١)

الشريكان[1]

كان اخلاص هشام بن الحكم وعبد الله بن يزيد الاباضي ومودتها لبعضهما موضع اعجاب اهل الكوفة ومضربا للمثل ، كانا خرّازين شريكين في حانوت يملكانه .

واكثر ما كان يثيرعجب الناس انهما لم يختلفا فيما بينهما قط ، مع اختلافهما التام في العقيدة . فقد كان هشام من متكلمي الشيعة الامامية وعلمائهم ومن خواصّ الامام الصادق (ع) . وكان عبد الله بن يزيد من علماء الاباضية المشهورين ومع انهما كانا قطبين مختلفين من حيث العقيدة

(١) مروج الذهب ـ الطبعة المصرية ـ ج ٢ ص ١٧٤ .

الاّ انهما لم يزّجا عقائدهما المذهبية في شؤون حياتهما الاخرى .

والشيء العجيب في ذلك ان اصحاب هشام بن الحكم كانوا يختلفون اليه وهو في الحانوت يأخذون منه استيضاحات عقائدهم الدينية والمذهبية وعبد الله يسمع ذلك ولا يبدي اية مخالفة ، وكذلك الاباضية كانوا يختلفون الى صاحبهم يأخذون عقائدهم منه وهشام يسمع ولا يظهر اية مخالفة .

وذات يوم قال عبد الله لهشام : انت تعلم ما بيننا من المودة ودوام الشركة ، وقد احببت ان تنكحني ابنتك فاطمة !

فأجابه هشام قائلا : انها مؤمنة .

فسكت عبد الله ولم يعوده في شيء من ذلك واستمرا في محبتهما وشراكتهما حتى فرّق الموت بينهما .

(٥٢)

منع شارب الخمرة[١]

روى الشقراني ـ مولى رسول الله (ص) ـ قال :

(١) الانوار البهيّة ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

خـرجت ابتغي العطاء أيـام المنصور ومـالي شفيع ، فـوقفت عـلى الباب متحيـراً لا اعرف احـداً ، وبينـا انـا عـلى هـذه الحـال ، اذ رأيت جعفر بن محمـد (ع) مقبلا فـذكـرت لـه حـاجتي فـدخـل وخـرج واذا بعـطائي بكُمِّـه فنـاولني ايـاه وقـال : ان الحسن من كـل أحـد حسن وانـه منـك احسن لمكانك منّا . وان القبيح من كل احد قبيـح وانه منك أقبح لمكانك منّـا ، وانّما قـال له جعفـر (ع) ذلك لأن الشقـراني كـان يشرب الخمـر . فمن مكارم اخـلاق جعفـر (ع) انـه رحّب بـه وقضى حاجتـه مع علمـه بحالـه ووعظه عـلى وجه التعريض ، فخجل الشقراني ولام نفسه على اعماله .

(٥٣)

ثوب الخليفة (١)

ارتقى الخليفـة عمر بن عبـد العزيـز المنبـر يـومـا من الايـام ، وخـطب بـالنـاس ، وفي اثنـاء خـطبتـه انتبـه الاشخاص الذين كـانوا جـالسين بـالقرب من المنبـر الى انه يمسـك ثوبـه بين الحين والآخـر ويحرّكـه مما ادّى الى تسـاؤل الحضور : لماذا يحّرك الخليفة ثوبه اثناء الخطبة ؟

---

(١) مقدمة ترجمة كتاب (نيايش) بقلم محمد تقي شريعتي .

يريد ان يجفف ثوبه لانه كان قد غسله ، ولما لم يكن يملك غيره ، فقد اضطر الى ان يلبسه ولّما يجف بعد .

(٥٤)

الشاب اليقيني[١]

ذهب النبي (ص) الى المسجد ليؤدي صلاة الفجر فلّما أتمّ الصلاة بالناس كان الظلام قد سحب اثوابه خوفا من ان يحرقها وهج الصباح ولّما اوشك الرسول (ص) على مغادرة المسجد اذا بشاب مصفر اللون قد ضعف جسمه ونحف ، وغارت عيناه في رأسه .

فسأله رسول الله (ص) : كيف اصبحت يا فلان ؟

فأجاب الشاب : اصبحت موقنا يا رسول الله .

فتعجب الرسول من قوله وقال : ان لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك ؟

فقال الشاب النحيل : ان يقيني يا رسول الله هو الذي احزنني وأسهر ليلي وأظمأ نهاري فزهدت نفسي في

---

(١) اصول الكافي ج ٢ ص ٥٣ باب حقيقة الايمان واليقين .

الدنيا وما فيها فكأني انظر الى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم وكأني انظر الى اهل الجنة يتمتعون في الجنة ويتعارفون على الارائك متكئون ، وكأني انظر الى اهل النار وهم فيها معذّبون مستغيثون ، وكأني الآن اسمع زفير النار يدور في مسامعي .

فالتفت النبي (ص) الى اصحابه وقال : هذا عبد نوّر الله قلبه بالايمان . ثم اوصى الشاب قائلا : التزم ما انت عليه .

فقال الشاب : ادع الله لي يا رسول الله ان أرزق الشهادة معك ، فدعا له رسول الله (ص) فلم يلبث ان خرج في احدى غزوات النبي (ص) فاستشهد بعد تسعة اشخاص فكان هو العاشر .

(٥٥)

مهاجر و الحبشة[١]

أخذ عدد المسلمين يزداد باطرّاد ، اذ لم تفلح قريش

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٥٦ .

بضغطها على المسلمين في صدهم عن دينهم الجديد بل لم تستطع الوقوف ازاء تيار المسلمين الجارف . فتعصّب المسلمين لدينهم ، وصبرهم على ما يلاقونه من الاذى والعذاب كان يثير غضب قريش ويحملها على التشددّ في اذيتهم وتعذيبهم .

لّما رأى الرسول (ص) بأن المسلمين في مهلكة لا نجاة لهم منها الاّ بالهجرة ، أمرهم بالهجرة الى الحبشة ، باعتبار ان حاكمها النجاشي كان رجلا عادلاً وبامكانهم ان يقيموا شعائرهم الدينية بحرية تامة تحت ظل حكومته . هاجر المسلمون الى الحبشة واطمأنوا بأرضها وأصابوا داراً وقرارا وعبدوا الله بكل حرية لا يؤذون ولا يسمعون ما يكرهون .

لّما بلغ ذلك قريشاً خافوا ان يتسع نفوذ الاسلام هناك ، فأتمروا بينهم وصمّموا على ان يخرجوا المسلمين من الحبشة ويردوهم الى مكة حتى يتمكنوا من السيطرة عليهم ، والحدّ من انتشار دينهم ، ولذا فقد اختاروا رجلين وحمّلوهما هدايا ثمينة للنجاشي وبطارقته ولم يدعوا بطريقا الاّ وأهدوا له هدية ثم اوصوهما : ادفعا الى كل بطريق هديته قبل ان تكلّما النجاشي ثم قولا للنجاشي انه قد انضوى الى بلاد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين

قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم وجاؤا بدين مبتدع وقد بعثنا اشراف قومهم ليردّوهم واشاروا عليه بتسليمهم . فذهب الرسولان الى الحبشة ووّزعوا الهدايا على البطارقة فأعطوا كل بطريق هديته ، وأخذوا منهم عهدا على ان يؤيدوهما في مجلس النجاشي ، ثم دخلا على النجاشي وقدما هداياهما الثمينة اليه ثم كلّماه بالغرض الذي جاءا من أجله ، وطبقا للقرار المعقود بين البطارقة وبين ممثلي قريش ، اشار البطارقة كلهم باخراج المسلمين فوراً وتسليمهم الى قريش ، ولكن النجاشي لم يقبل هذا الرأي بل قال : لا اسلمهم اليهما ، فهؤلاء قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي ، ولا بدّ من ان أدعوهم فأسألهم عمّا يقول هذان في امرهم فان كانوا كما يقولون سلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم ، وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهما واحسنت جوارهم ما جاوروني .

فلمّا سمع ممثلا قريش قول النجاشي تغير لونهما وارتعدت فرائصهما لأنهما كان يخشيان من ان يقابل النجاشي المسلمين ويتكلم معهم ، وكانا يؤثران بقاء المسلمين في الحبشة على مقابلتهم للنجاشي خوفهم من ان يفتتن النجاشي بما يسمع من المسلمين من القرآن وكلام النبي (ص) . ولكن ما الذي يفعلانه وقد امر النجاشي بأن يحضروا هؤلاء المهاجرين امامه في وقت اتفق عليه .

علم المسلمون بهدف مجيء ممثلي قريش الى النجاشي ، فخافوا خوفا شديدا من ان يجبروا على الرجوع الى مكة .

ولّما جاءهم رسول النجاشي يطلب حضورهم امام النجاشي علموا بأن الخطر بلغ منتهاه . فاجتمعوا مع بعضهم للمشورة ، وماذا يجب عليهم ان يقولوا في جواب النجاشي اذا سألهم ؟ فاجتمعت كلمتهم على ان لا يقولوا غير الحقيقة وان يوضّحوا له وضعهم في الجاهلية ووضعهم بعد الاسلام وان يعرّفوه بحقيقة الاسلام الخلّاقة وروح الدعوة البنّاءة وان لا يخفوا عليه شيئا .

كان مجلس النجاشي مكتظاً بعلماء الدين المسيحي باعتباره الدين الرسمي للحبشة في ذلك الوقت ، وكان ازاء كلّ منهم كتاب مقدس وقد اخذ رجال الدولة امكانهم الخاصة ، فانسجمت المراسم الدينية والملكية لتضفي على مجلس النجاشي ابهة وعظمة وجلالا خاصا .

تصدر النجاشي المجلس واستقر العلماء ورجال الدولة في الاماكن المعدة لهم . ثم دخل المسلمون مجلس النجاشي ـ هذا المجلس الذي يجبر الداخل اليه على ابداء الخضوع هيبة له ـ الاّ ان المسلمين دخلوه بكل طمأنينة ووقار ، لم تؤثر عليهم عظمته ولم ترهبهم ابهته ، بل انهم

لم يراعوا مراسم الأدب الجارية في ذلك الوقت من قبيل تقبيل الارض امام السلطان ، بل دخلوا وسلّموا يتقدمهم كبيرهم جعفر بن ابي طالب .

كان دخولهم بهذه الصورة اهانة لمقام النجاشي وعظمته ، لهذا فقد سدّدت اليهم سهام الانتقادات من كلّ صوب ولكنهم اجابوا عليها فورا بقولهم : ان ديننا الذي لذنا بسببه الى هنا لا يبيح لنا السجود لغير الله الواحد الاحد .

هنا سألهم النجاشي قائلا : ما هذا الدين الذي فارقتم قومكم بسببه ولم تدخلوا في سواه من الاديان ؟ فأجابه كبيرهم جعفر بن ابي طالب قائلاً : ايّها الملك كنّا قوما اهل جاهلية ، نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوّي منا الضعيف ، وكنّا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا لتوحيد الله وعبادته وان نهجر ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان ، وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، واكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وامرنا ان نعبد الله لا نشرك به شيئا ،

وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، فصدّقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فحاربنا قومنا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان فلما قهرونا وضيّقوا علينا ، لذنا ببلادك ونرجوا ان لا نظلم عندك ايها الملك .

لما انتهى جعفر من كلامه قال له النجاشي : هل معك ما جاء به نبيكم عن الله من شيء ؟

ـ نعم .

ـ اقرأ عليّ .

فشرع جعفر بقراءة سورة مريم التي تتحدث عن مريم وعيسى ويحيى وزكريا . قرأ جعفر سورة مريم لان المجلس كان مشحونا بالاحساسات والعواطف المسيحية بالاضافة الى انه أراد ان يُبيِّنَ للمسيحين بأن القرآن بقدر ما يقدس عيسى ومريم منتهى التقديس فانه يعتبرهما عبدين من عبيد الله .

بكى النجاشيّ وبكى المجلس كله ثم قال النجاشي : ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة اذهبا فلا والله لا اسلمهم اليكما .

وبعد ذلك اسلم النجاشي وتوفي في العام التاسع للهجرة وصلى النبي (ص) على جنازته من على بعد .

(٥٦)

العامل والشمس[١]

زار ابو عمرو الشيباني الامام الصادق (ع) ذات يوم فوجده يعمل بجد في بستان له والعرق يتصّبب منه لكثرة العمل والاجهاد ، وكانت بيد الامام مسحاة وعليه ازار غليظ ، فتعجب ابو عمرو من حالة الامام وظنّ انه لم يعثر على عامل يقوم باعماله فاضطر الى العمل بنفسه فبادره بالقول : جعلت فداك ، اعطني المسحاة فانا اكفيك .

فأحابه الامام (ع) : اني احبّ ان يتأذى الرجل بحرّ الشمس في طلب المعيشة .

(٥٧)

الجار الجديد[٢]

اشترى رجل من الانصار بيتا في احدى محلات

---

١) بحار الانوار ج ١١ ص ١٢٠ .

٢) الكافي ج ٢ باب حق الجوار ص ٦٦٦ .

المدينة ، وبعد ان انتقل اليه وجد ان له جاراً مؤذياً فجاء الى النبي (ص) يشتكيه فقال : يا رسول الله ، اني اشتريت دارا في بني فلان وان أقرب جيراني مني جوارا من لا ارجو خيره ولا آمن شره .

فأمر النبي (ص) عليا وسلمان وآبا ذر وشخصا آخر ، ربما كان المقداد ، بأن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم بأن لا ايمان لمن لا يؤمن جاره . فنادوا بها ثلاثا ثم أومأ النبي (ص) بيده مشيرا الى ان كلّ اربعين دارا من الجهات الأربع يعتبر ساكنوها جيرانا .

(٥٨)

الكلمات الاخيرة [٢]

لم تكد أم حميدة - أم الامام الكاظم (ع) - ترى ابا بصير الذي جاء لتعزيتها بوفاة زوجها الامام الصادق (ع) حتى انفجرت باكية ، فبكى ابو بصير لبكائها ، فلما هدأت عواطفها وسكن نحيبها ، التفتت الى ابي بصير قائلة : لو كنت حاضرا عند ابي عبد الله ساعة احتضاره لرأيت عجبا . فسألها ابو بصير : ماذا حدث ؟

---

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ١٠٥ .

فأجابت : بينما كان الامام (ع) يطوي آخر لحظات حياته اذ فتح عينيه ثم قال : اجمعوا لي كل من بيني وبينه قرابة . ثم اضافت ام حميدة قائلة : ولم يعلم احد لماذا طلب الامام (ع) حضور أقاربه في تلك اللحظات الحساسة من حياته ، ولأي غاية ؟

فذهبنا وجمعناهم فلم ندع احدا . واصبح السكوت حاكما على الجميع ينظرون قول الامام وأمره . فلما فتح الامام (ع) عينيه ورآهم جميعا حاضرين قال :

(ان شفاعتنا لا تنال مستخفا بالصلاة)

(٥٩)

نسيبة(١)

قال الواقدي : كانت نسيبة بنت كعب ـ أم عمارة بن غزية بن عمرو ـ قد شهدت أحداً ، وكان زوجها غزية وابناها عمارة بن غزية وعبد الله بن زيد من المشاركين في المعركة . وكانت هي قد خرجت في اول النهار ومعها سقاء تريد سقي الجرحى ، وقاتلت يومئذ وأبلت بلاء حسنا .

---

(١) شرح ابن ابي الحديد ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ج ٣ ص ٥٦٨ ـ ٥٦٩ .

قالت ام سعد بنت سعد بن الربيع : دخلت على نسيبة فقلت لها : يا خالة حدثيني خبرك ؟

فقالت : خرجت اول النهار الى أُحد وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله (ص) وهو في الصحابة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله (ص) فجعلت اشرع بالقتال واذبّ عن رسول الله (ص) بالسيف وارمي بالقوس حتى بلغت الجرحى .

قالت ام سعد ، فرأيت على عاتقها جرحا بليغا فقلت لها يا أم عمارة من اصابك بهذا ؟

قالت : أقبل ابن قيمئة وقد ولّي الناس عن رسول الله (ص) ، يصيح دلوني على محمد ، لا نجوت ان نجى . فاعترضه مصعب بن عمير وناس معه وكنت فيهم فضربني هذه الضربة ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان .

بعد انقضاء واقعة احد نادى منادي النبي (ص) بالتهيؤ الى حمراء الاسد ، فلما علمت نسيبة بذلك تهيأت للرحيل فشدت عليها ثيابها استعداداً لذلك ، الاّ ان نزف الدم لم يمكنها من المشاركة . فلما رجع رسول الله (ص)

من حمراء الاسد ولما يصل الى بيته بعد حتى ارسل اليها عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها فرجع اليه فاخبره بسلامتها فسرّ الرسول بذلك .

(٦٠)

طلب عيسى بن مريم[1]

قال عيسى بن مريم (ع) للحواريين : لي اليكم حاجة فان عاهدتموني على ان تقضوها لي قلتها لكم . فقال الحواريون : قضيت حاجتك يا روح الله ، الامر منك والطاعة علينا .

فقام عيسى عليه السلام وغسل اقدامهم واحدا واحدا فقالوا : كنّا احقّ منك بهذا .

فقال (ع) : ان احقّ الناس بالخدمة العالم ، انما تواضعت هكذا لكي تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم .

ثم قال (ع) : بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر وكذلك في السهل يثبت الزرع لا في الجبل .

---

(١) وسائل الشيعة ج ٢ ص ٤٥٧ .

(٦١)

جمع الحطب من الصحراء[١]

كان النبي (ص) واصحابه في احدى سفراتهم ، اذنزلوا بأرض جدباء لا نبت فيها ولا ماء ، وكانوا قد احتاجوا الى الحطب فقال النبي (ص) لاصحابه : اجمعوا حطبا ، فقالوا : يا رسول الله نحن بارض جرداء لا حطب فيها .

فقال (ص) : فليأت كلّ فرد بما يقدر عليه فشرع الصحابة يجمعون ما يشاهدون من اشواك ونباتات يابسة صغيرة . ثم جاءوا به الى الرسول (ص) فتجمّع من الحطب مقدار كبير فقال النبي (ص) : هكذا تجتمع الذنوب الصغيرة ، مثلما اجتمع هذا الحطب ثم أردف قائلا : ايّاكم والمحقّرات من الذنوب فأن لكل شيء طالبا ألا وان طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكلّ شيء احصيناه في امام مبين .

---

(١) وسائل الشيعة ج ٢ ص ٤٦٢ .

(٦٢)

خمر على المائدة[١]

كان المنصور الدوانيقي يرسل الى الامام الصادق (ع) بين الآونة والأخرى طالبا حضوره من المدينة الى العراق ليراقب اعماله ويقيّم تصرفاته . فاتفق ان ختن بعض القواد ابناً له واولم لذلك وليمة فخمة دعا اليها اشراف الناس واعيانهم ، وكان الامام الصادق (ع) فيمن دعي حيث كان في العراق في ذلك الوقت . وبينما كان الضيوف جلوسا حول المائدة ، اذا بأحدهم يستسقي ماء فجيء له بقدح فيه شراب فلما صار القدح في يده نهض الامام (ع) عن المائدة ولما يتم طعامه ، فسألوه عن قيامه فأجاب قائلا : قال رسول الله (ص) : ملعون من جلس على مائدة يشرب عليها الخمر .

(٦٣)

الاستماع الى القرآن [٢]

طلب النبي (ص) من ابن مسعود ذات يوم ، ان

---

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ١١٥ .

(٢) كحل البصر ص ٧٩ .

يقرأ عليه شيئاً من القرآن ، وكان ابن مسعود كاتبا للوحي يحرّر ما ينزل على النبي (ص) من القرآن الكريم كما ويقوم بترتيله ايضا .

أخذ ابن مسعود مصحفه وفتحه واذا بسورة النساء فبدأ يتلو ، فلما بلغ هذه الآية : ﴿ **فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** ﴾[1] ، اغرورقت علينا النبي (ص) بالدموع وقال : حسبك يا ابن مسعود .

(٦٤)

تعظيم العامة[2]

قال الامام الصادق (ع) في حديث طويل : من اتبع هواه وأعجب برأيه كان كالرجل الذي اشتهر بين العامة من الناس بالخير والأحسان الى الآخرين ، فكانوا يعظمونه ويبجلونه ، وكان ذكره يتردد على الالسن والمدح والثناء يزجى اليه من كل حدب وصوب ، وكانت شهرته بالتقوى والصلاح قد طغت حتى فاضت بها القلوب والافواه . اما

---

(١) سور النساء آية : ٤١ .

(٢) وسائل الشيعة ج ٢ ص ٥٧ .

الكلام عن شرفه وسخائه فقد كان يدور في كل ناد ويتكرر في كلّ مجلس ، فأحببت ان اشاهده عن كثب ومن حيث لا يعرفني ، وذات يوم رأيته وقد احدق به خلق كثير فدنوت منه متنكرا فوجدت الناس مسحورين به وهو ما يزال يراوغهم حتى فارقهم فتبعته من حيث لا يعلم كي اعرف ايّ طريق يسلك واي مكان يريد وماذا يفعل وما هي الاعمال المحسنة التي يقوم بها ؟

وبعد برهة رأيته يقف أمام حانوت خباز وما هي الاّ لحظة حتى أنتهز فرصه انشغال صاحب الحانوت فتناول رغيفين واخذ طريقه ، فتعجبت منه وقلت في نفسي لعله قد اشتراهما سابقا ودفع ثمنهما سلفا او أنه سيدفعه آجلا ، ثم قلت في نفسي اذا كان قد اشتراهما فلماذا اغتنم فرصة انشغال صاحب الحانوت . ثم لم أزل اتابعه وأنا في خضّم هذا الفكر حتى مرّ ببائع رمّان فتوقف عنده هنيهة ، وما زال يراقبه حتى تغفّله واخذ منه رمانتين وتابع سيره فدهشت لأمره ، وقلت في نفسي لعلّه قد اشتراهما ايضا ، ثم تساءلت : ولكن لماذا اخذ الرمانتين في غفلة من بائع الرّمان ؟

ثم لم أزل اتابعه حتى مرّ بمريض وهنا بلغ عجبي منتهاه ، عندما وجدته يضع الرغيفين والرمانتين بين يديه .

وهنا اقتربت منه وقلت له : انا رأيت منك عملا عجيبا وبيّنت له كّل ما شاهدته منه ، وسألته ان يوضّح لي ذلك ، فنظر اليّ وقال : ألست جعفر بن محمد ؟

ـ بلى ، حُدسك صحيح ، انا جعفر بن محمد .

فقال : انت ابن رسول الله ولك حسب ونسب اصيل ولكن ما ينفعك شرف اصلك مع جهلك ؟

فقلت : ايّ جهل رأيته مني ؟

قال : جهلت قول الله عز وجل : من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الاّ مثلها واني لما سرقت الرغيفين كنت قد اقترفت سيئتين ، ولما سرقت الرمانتين كنت قد اقترفت سيئتين ، فهذه اربع سيئات فلما تصدقت بكل واحدة منها كان لي اربعون حسنة فأنتقص من اربعين حسنة اربع سيئات فيبقى لي ست وثلاثون حسنة .

فقلت له : ثكلتك أمّك ، انت الجاهل بكتاب الله ، أما سمعت قول الله تعالى : انما يتقبل الله من المتقين انك لما سرقت رغيفين كانا سيئتين ولما سرقت الرمانتين كانتا ايضا سيئتين ولما دفعتها الى غير صاحبها وبغير أمر صاحبها كنت اضفت اربع سيئات ولم تضف

أربعين حسنة الى اربع سيئات .

قال الامام (ع) وتركته وهو على هذه الحال يلاحقني ببصره وانصرفت .

وعندما انتهى الامام (ع) من نقل هذه القصة الى اصحابه توجّه اليهم وقال : بمثل هذا التأويل القبيح المستنكر يضُلّون ويضِلّون

(٦٥)

الكلام الذي بعث القوة في نفس ابي طالب[١]

أخذ النبي (ص) يصدع بالاسلام غير مبال بمقاومة قريش له ، فكان يعيب عليها دينها ويسفّه احلامها ، حتى عظم عليها فعله فأجمع افرادها على مضاغنته وعداوته فذهب منهم جماعة الى ابي طالب وطلبوا منه ان يردع النبي (ص) ويمنعه عن الاستمرار في الدعوة فقال لهم ابو طالب قولاً لطيفاً وردّهم ردّاً جميلاً ، ولكن النبي (ص) مضى على ما هو عليه حتى سرى الامر بينه وبينهم واكثرت

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٢ .

قريش من ذكر رسول الله (ص) بينها فتذمّروا منه وحض بعضهم بعضا على دفع غائلته والوقوف بوجهه .

فجاءت جماعة اخرى وقالت لابي طالب : يا أبا طالب ان لك سنّا وشرفا ومنزلة فينا ، وانا قد استنهيناك عن ابن اخيك فلم تنهه عنّا ، وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه احلامنا والاستهانة بآلهتنا ، حتى تكّفه عنا او ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك احد الفريقين .

عظم هذا الانذار على ابي طالب حيث انه لم يجابه به من قبل ، وكان من الواضح أن أبا طالب لم يكن يستطيع ان يقاوم قريشا واذا ما قاومها فسوف يوقع نفسه وابن اخيه وجميع أقاربه في خطر .

لهذا السبب ارسل الى النبي (ص) وطرح عليه الموضوع وقال له : كف عن دعوتك وأبق على نفسك ولا تحملني من الامر ما لا اطيق .

ظنّ الرسول (ص) بأن انذار قريش لعّمه قد أثر فيه تأثيرا كبيرا وانه قد ضعف عن نصرته فقال له : يا عمّ ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الأمر حتى يظهره الله او اهلك فيه ، ما تركته .

ثم سالت دموعه على وجنتيه واراد الذهاب إلّا ان ابا طالب ناداه قائلا : أقبل يا ابن اخي ، فأقبل (ص) فقال له : اذهب يا ابن اخي فقل ما احببت فوالله لا اسلمك لشيء أبدا .

(٦٦)

الطالب الكهل[1]

كان السكاكي في بداية أمره حداداً ، فصنع ذات يوم محبرة صغيرة من حديد وجعل لها قفلاً عجيباً واهداها الى ملك زمانه .

فلما أحضر بين يدي الملك ، تعجب الملك من صنعته ولكن لم يرّحب به كثيراً ولم يحتف به كما كان يتصور . واتفق في هذا الوقت ان دخل رجل على الملك وكان السكاكّي حاضراً ، فقام الملك احتراماً لذلك الرجل واجلسه في محلّه ، فسأل عنه السكاكي فقيل انه من العلماء ، ففكر السكاكي في نفسه انه لو كان من هذه الطائفة لكان اقرب الى ما كان يطلبه من الفضل والشرف والقبول . وخرج من ساعته لتحصيل العلوم وكان اذ ذاك

---

(١) روضات الجنات ص ٧٤٦ .

قد ذهب من عمره ثلاثون سنة .

وذات يوم قال له المدرس: لعلك في سن لا ينفعك فيه التعلّم وارى ان ذهنك لا يساعدك على اكتساب العلم . ثم أخذ يعلّمه هذه المسألة « قال الشيخ جلد الكلب يطهر بالدباغة » وجعل يكرّرها عليه . فلما كان من الغد جاء السكّاكي وطلب منه استاذه ان يعيدالدرس الذي قرأه بالامس فقال السكاكي : قال الكلب جلد الشيخ يطهر بالدباغة . فضحك منه الحاضرون .

يئس السكاكي من نفسه وضاق صدره فخرج الى البراري والجبال فاتفق ان رأى قليلا من الماء يتقاطر من فوق جبل على صخرة صماء ، وقد ظهر فيها ثقب من اثر ذلك التقاطر ، فاعتبر بهذه وقال : ليس قلبي بأقسى من هذه الصخرة ولا خاطري بأصلب منها حتى لا يتأثر بالدرس والتحصيل ، ورجع ثانية الى المدرسة بعزمه الثاقب حتى فتح الله عليه ابواب العلوم والمعارف وحاز قصب السبق على جميع اهل زمانه .

(٦٧)

عالم نباتي[١]

يئس معلمو (شارل دولينه) من تقدمه في الدراسة فاتفقوا جميعا على ان ينصحوا اباه الذي كان قسيسا ان لا يبقى بانتظار تقدم ابنه في الدراسة ، والافضل ان يبحث له عن عمل يدوي مناسب . ولما كان ابوا (لينه) يحبانه حبا جما ، لم يكترثا بنصيحة معلميه بل ارسلاه الى الجامعة لدراسة علم الطب ، وباعتبار أنهما فقيرين فقد دفعا مبلغا قليلاً ، مقابل مدة دراسته ولولا مساعدة الفلاح المحسن الذي كان يعمل في حديقة الجامعة الى (لينه) لقضى الفقر عليه .

إلّا ان (لينه) لم يكن يرغب بدراسة الطب كما اراد ابواه ، بل كان راغباً في دراسه علم النبات ، لانه كان قد ورث منذ الطفولة حب الزراعة حيث كان بستان ابيه مغطى بالنباتات والاوراد الجميلة . وعندما كان (لينه) طفلاً صغيراً كانت امّه تعطيه وردة لكي يسكت ويهدأ حينما كان يبكي . وخلال دراسة (لينه) لعلم الطب في

---

(١) تاريخ العلوم : ي برروسور ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ .

الجامعة قرأ موضوعاً في علم النبات لعالم نباتي فرنسي ، فأثّر هذا الموضوع في نفسه تأثيراً عميقاً مما حفّزه على التعمق في اسرار النباتات .

ومن المواضيع المهمة التي كانت تلفت نظر علماء النبات في ذلك الوقت هو التقسيم الصحيح للنباتات ، وقد وفق (لينه) لاكتشاف الذكر والانثى مما جلب انظار العلماء نحوه ، فالكتاب الذي نشره في هذا الموضوع استحق بموجبه درجه تؤهله لتدريس علم النبات في الجامعة نفسها التي كان قد درس فيها ، ولكن حسد الآخرين له حال دون ذلك .

فرح (لينه) لنجاحه كثيراً وذاق طعم موفقيته لاول مرة ولذا لم يهتم لحسد الحاسدين ، بل هيأ نفسه لمهمة علمية وسفر طويل من أجل الدراسة والتحقيق في الطبيعة ، وبعد مدة قصيرة عزم على السفر مصطحبا معه ما يحتاج من وسائل السفر البسيطة المكوّنة من بعض الملابس مع حقيبة وعدسة مكبّرة وعدد من الاوراق اللازمة .

قطع (لينه) سبعة آلاف كيلو متر مواجهاً صعوبات ومشاكل عجيبة ثم رجع بمعلومات قيّمة وتحقيقات علميّة مهمة .

في سنة ـ ١٧٣٥ ـ اي بعد ثلاث سنوات من سفره هذا هاجر الى هامبورك بعد ان لاحظ ان لا فائدة من التحقيق والعمل في وطنه السويد .

وفي اثناء زيارته لاحد المتاحف هناك أظهر لمديره أحد الاشياء التي كان قد حصل عليها في سفره وكانت ثعباناً مائياً ذا سبعة رؤوس ، ولم تكن هذه الرؤوس تشبه رؤوس الحيتان فحسب بل كانت شبيهة برأس الحيوان المعروف (بابن عرس) ايضا .

وقد استطاع (لينه) خلال هذه المدة ان يعدّ رسالة الدكتوراه في علم الطب ، كما استطاع في الوقت نفسه ان يطبع كتابه المسمى (جهاز الطبيعة) في ليدن .

وكتابه (جهاز الطبيعة) اوجد له شهرة عظيمة سببت في دعوة احد اثرياء (امستردام) لـ (لينه) ان يلقي عنه عصا السفر التي حملها مدة طويلة من الزمان ، وان يركن الى الراحة والهدوء ، وتمكن ايضا بواسطة هذا المحسن ان يذهب الى فرنسا وان يزور غابات (مودون) ويجمع انواع النباتات هناك .

وأخيرا أثرّت الغربة فيه وتغلّب حنين الوطن عليه فرجع الى وطنه السويد حيث رحب به وطنه هذه المرة ومنحه كلّ الامتيازات اللائقة برجل نابغة مثابر .

(٦٨)

الخطيب(١)

كان (دموستنس) يعدّ نفسه ويمرنها على الخطابة منذ ان بلغ سن الرشد ، ولكن لا ليصبح معلماً لامعاً او خطيباً ناطقاً تُرجع صوته المحافل السياسية والدينية او المحاكم القضائية ، بل ليستطيع ان يدافع عن نفسه وعن حقوقه عند اقامته الدعوى ضد اوصياء ابيه الذين اكلوا امواله عندما كان صغيراً . وقد درّب نفسه على هذا العمل كثيرا حتى اصبح لا معاً في هذا الفن وخطيبا مشهورا في المجتمع .

في بداية الامر ، كانت تتخلل خطاباته بعض العيوب التي تتعلق بصوته او قدرته على التعبير ، ولكنه بسعيه ومثابرته وترغيب اصدقائه ازالها شيئاً فشيئاً باتباعه طريقة خاصة ، فقد اتخذ له بهواً خاصاً تحت الأرض لاجراء تمارينة حيث كان يضع حصاة في فمه ويقرأ بصوت عال لكي يصلح لهجته ، وكان يقرأ المنظومات المطولة دون ان يقطع نفسه كي يصبح طول النفس ملكة طبيعية له ،

---

(١) آيين سخنوري ، محمد علي فروغي ج ٢ ص ٥ و٦ .

وكان يقف امام المراة ليصلح منظره وشكله قبيل الخطابة .

استمر (دموستنس) على هذا العمل مدة طويلة من الزمن حتى استقام له ما أراد فاصبح من اشهر خطباء العالم .

(٦٩)

ثمر السفر الى الطائف[١]

لما توفّي ابو طالب نالت قريش من رسول الله (ص) من الاذى ما لم تكن تناله منه في حياة عمه ابي طالب ، فخرج رسول الله (ص) الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه و رجاء ان يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل وعمد الى ثلاثة اخوة هم عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير ، فدعاهم الى الله وكلمهم في مسألة نصرته والقيام على من خالفه من قومه ، فقال له أحدهم : أمرط ثياب الكعبة ـ أي انزعها وارمها ـ ان كان الله ارسلك رسولا ، وقال الآخر : أما وجد الله

---

(١) سيرة بن هشام . ج ٢ ، قم ـ مكتبة المصطفوي ص ٦١ و٦٢ .

احداً يرسله غيرك ؟ وقال الثالث : والله لا اكلمك أبدا .

ولم يكتف هؤلاء الاخوة الثلاثة بردّهم هذا ، بل اغروا سفهاءهم وعبيدهم بأن يسّبوا النبي (ص) حتى أجبروه على الخروج من الطائف واللجوء الى بستان لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة فعمد الى ظلّ شجرة من العنب يستريح تحتها .

كان عتبة واخوه شيبة آنذاك في بستانهما فشاهدا ما لقي النبي (ص) من سفهاء اهل الطائف . ولما اطمأن الرسول (ص) توجّه الى ربه بالشكوى فقال : « اللهم اليك اشكو ضعف قوّتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين . أنت رب المستضعفين ، وانت ربي الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ام الى عدّو ملكته أمرى ؟ ان لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ، ولكنّ عافيتك هي اوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من ان تنزل بي غضبك او يحل عليّ سخطك . لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الاّ بك .

فلما رآه عتبة وشيبة على هذه الحال ، تحرّكت الرحمة في نفوسهم فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عدّاس فقالا له : خذ قطفاً من العنب وضعه في هذا الطبق ثم اذهب

به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل عدّاس ثم اقبل له حتى وضعه بين يدي رسول الله (ص) ثم قال له : كل ، فلّما وضع الرسول يده على العنب قال : باسم الله . ثم اكل ، فنظر عدّاس في وجهه ثم قال : والله ان هذا كلام ما يقوله اهل هذه البلاد . فسأله الرسول (ص) : ومن أيّ البلاد أنت ؟ وما دينك ؟ فأجابه عدّاس : انا رجل نصراني من اهل نينوى ، فقال رسول الله (ص) : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى . فتعجب عدّاس من قول النبي (ص) فسأله : وما يدريك من يونس بن متى ؟ فقال رسول الله (ص) : ذاك أخي ، كان نبيا وأنا نبي . فأكب عدّاس على رسول الله (ص) يقبلّ رأسه ويديه وقدميه .

فقال ابنا ربيعة احدهما للآخر : اما غلامك فقد أفسده عليك .

(٧٠)

ابو اسحق الصابي[1]

كان ابو اسحق الصابي اديباً بارعاً وكاتباً معروفاً ، له

الكنى والالقاب ج ٢ ص ٣٦١ ـ ٣٦٣ .

في الكتابة والانشاء مقام رفيع ، فلقد شغل وظيفة كاتب الانشاء ببغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه ، كان ابو اسحق الصابي يصوم رمضان احتراماً للمسلمين ، ويحفظ القرآن ويقتبس آياته في كتاباته . كان الصابي رفيقاً مخلصاً وصديقاً وفياً للشريف الرضي ولما توفّي سنة ٣٨٤ هـ رثاه الشريف الرضي بقصيدة مشهورة فيها :

أرأيت من حملوا على الأعواد
أرأيت كيف خبا ضياء الفادي
جبل هوى لوفّر في البحر اغتدى
من ثقله متتابع الأزياد
ما كنت أعلم قبل حطّك في الثرى
ان الثرى يعلو على الاطواد

بعد ان رثى الشريف الرضي الصابي بهذه القصيدة الفريدة لامه الناس وعاتبوه على ذلك وحجتهم ان الصابي وكما هو معروف من اسمه لم يكن مسلماً ، فردّ عليهم الشريف الرضي بقوله : انما رأيت فضله !

(٧١)

رائد الحقيقة

عن عنوان البصري قال :

كنت اختلف الى مالك بن انس سنين ، فلّما قدم جعفر الصادق (ع) المدينة اختلفت اليه واحببت أن آخذ عنه كما اخذت عن مالك .

فقال لي يوماً : اني رجل مطلوب ومع ذلك فان لي اوراداً في كلّ ساعة من آناء الليل والنهار فلا تشغلني عن وردي وخذ عن مالك واختلف اليه كما كنت تفعل قبلا ، فاغتممت من ذلك وخرجت من عنده وقلت في نفسي : لو توّسم في خيراً لما زجرني عن الاختلاف اليه والاخذ عنه . فدخلت مسجد رسول الله (ص) وسلّمت عليه ثم رجعت من الغد الى الروضة وصليت فيها ركعتين وقلت متضرعا الى الله : اسألك يا الله يا الله ، ان تعطف قلب جعفر عليّ ، وترزقني من علمه ما اهتدي به الى صراطك المستقيم ، ورجعت الى داري مغتماً ولم اختلف الى مالك إبن انس لما أشرب قلبي من حب جعفر ، فما خرجت من داري إلاّ الى الصلاة المكتوبة ، حتى عيل صبري فلّما

ضاق صدري تنعلت وترديت وقصدت جعفرا ، وكان بعدما صليت العصر فلما بلغت باب داره استأذنت عليه فخرج خادم له فقال : حاجتك ؟ فقلت : السلام على الشريف ، فقال : هو قائم في مصلاّه فجلست بحذاء بابه فما لبثت الاّ يسيراً اذ خرج الصادق (ع) فقال : اجلس غفر الله لك . فجلست فاطرق ملّياً ثم رفع رأسه وقال : أبو من؟ قلت: أبو عبد الله . قال ثبّت الله كنيتك ووّفقك يا أبا عبد الله ، ما مسألتك ؟

فقلت في نفسي لو لم يكن في زيارته والتسليم غير هذا الدعاء لكان كثيراً . ثم رفع رأسه وقال : ما مسألتك ؟

فقلت : سألت الله ان يعطف قلبك عليّ ويرزقني من علمك ، وأرجو من الله تعالى ، اجابتي في الشريف ما سألته .

فقال : يا أبا عبد الله ليس العلم بالتعلّم ، انما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى ان يهديه ، فان اردت العلم فاطلب اولاً في نفسك حقيقة العبودية واطلب العلم باستعماله واستفهم الله يفهمك .

(٧٢)

طلب اليقين[١]

كانت المدرسة النظامية في بغداد والمدرسة النظامية في نيشابور تغذّيان الطلاب بالعلوم في العصر السلجوقي .

وكان ابو المعالي امام الحرمين يحظى بالمنزلة الرفيعة في المدرسة النظامية في نيشابور حيث كان يحضر درسه مئات من الطلبة المجدّين وكان من بين طلبته ثلاثة طلاب بارزين يلفتون النظر اليهم لاستعدادهم ونشاطهم ومقدرتهم على تلّقي الدروس واستيعابها . هؤلاء الثلاثة هم محمد الغزالي ، وكياهراسي ، واحمد بن محمد الخوافي . وكان الغزالي اقدمهم واكثرهم نشاطاً وفعالية ولما توفي امام الحرمين سنة ٤٧٨ هـ التحق الغزالي بالوزير السلجوقي الخواجة نظام الملك ، حيث كان محباً للعلم والعلماء .

وبعد لأي وجهاد عنيف مع نفسه ، تنازل عن كرسي رئاسة المدرسة النظامية كي يريح ضميره ووجدانه ويمهّد السبيل الى نفسه لمعرفة الحق وكشف اليقين والحقيقة .

---

(١) ترجمة المنقذ من الضلال .

تعلّل الغزالي بالسفر الى مكة المكرمة عندما ما عزم على الخروج من بغداد ، ولّما خرج منها وفارق من ودعه الى خارجها توجّه الى الشام وبيت المقدس وسلك مسلك الدراويش حتى لا يعرفه من يشاهده . كان يختلي بنفسه ويطيل التفكير فيها كثيراً ، ولم يقتصر تفكيره في نفسه وحسب بل وفيما حوله حتى اهتدى الى غايته ووجد ضالته وهو اليقين والاطمئنان الذاتي بعد ان امضى من عمره عشر سنوات قضاها في الرياضة النفسية والتفكير العميق .

وفي سنة ٤٨٤ ، تولى رئاسة المدرسة النظامية في بغداد ، حيث كانت اهم منصب علميّ ديني ، وكان الغزالي مرجعاً مهماً في الامور الدينية والسياسية فلقي الحظوة والاحترام لدى الخليفة المقتدر بالله والمستظهر بالله ، كما انه كان مقدّرا من قبل الملك السلجوقي ووزيره الخواجة نظام الملك .

الّا ان ذلك لم يكن ليقعده عمّا كان يشعر به في نفسه من دوافع تدفعه لاستطلاع الحقيقة واكتشافها ، فكان يسعى دائماً لاشباع هذه الدوافع فلم يدع فرصة ولا سبيلا إلّا استغلهما لكشف اليقين ومعرفة الحقيقة . وبعد تفكير عميق توصّل الى ان معرفة الحقيقة ملازمة لمجاهدة النفس وتطهيرها من براثن الشهوة وحب الجاه والسلطان .

(٧٣)

أمعك ماء وانت تذوب عطشا[١]

أضرّ الحـرّ والقحط بـأهـل المـدينـة ، وكـان املهم الوحيد بثمـر النخل حيث كـانوا ينتـظرون قطافـه . في هذا الـوقت العصيب أمّـر النبي (ص) النـاس بـأن يستعـدوا للحـرب ويتهيأوا لصـد الحملة الـرومية المحتلمـة . لم يكن الأمـر يسيراً عـلى المسلمين لانهم كـانـوا مقحـطين من جهـة ومستعـدين لقـطف ثمـارهم من جهـة اخـرى اضـافـة الى حرارة القيظ التي كانت تلهب الأرض والفضـاء بسعيرهـا ، الاّ انّ هـذه الصعوبـات لم تقف حائـلاً دون استعداد جيش المسلمين الذي كان يبلغ عدده ثلاثين الف جندي .

سـار الجيش والشمس تلهب افـراده بجحيـمهـا ، فضـلا عن الحـرّ الشـديـد الـذي كـان يقـاسيـه الجنـود في الصحـراء ، كما ان الغـذاء لم يكن كـافيـاً والـوسيلة لم تكن مـريحـة فنـدم بعض ضعفـاء الايمـان وقفلوا الى المـدينـة راجيعن ، وكـان اول من رجع هـو كعب بن مـالـك ، ولّما أخبر الرسول (ص) برجـوعة قـال ما مضمـونه ، اذا كـان

---

(١) ابو ذر الغفاري ـ عبد الحميد جودة السحّار .

فيه خير فسيرجعه الله اليكم وان لم يكن فيه خير فقد أراحكم الله من شرّه .

ولم تمض مدة قصيرة حتى أخبر الرسول (ص) برجوع مراره بن ربيع ، فكرّر قوله الاول ، ثم أخبر بعدها برجوع هلال بن أميّة ، فأعاد قوله الأول ايضا .

في هذا الوقت تأخرّت ناقة ابي ذر عن المسير ولم يستطع قيادتها فتأخر عن اللّحاق بالجيش فظّن المسلمون انه قد رجع ايضا ، فأخبروا رسول الله فأجابهم بما اجابهم به من قبل .

لما عجز ابو ذر عن انهاض ناقته ترجّل عنها وحمل ما ما معه من اثاث ومعدات حرب وسعى مسرعاً نحو رسول الله (ص) واصحابه وفي اثناء مسيره وقع نظره على ناحية من الصحراء ظنّ أن فيها ماء ولما وصل اليها صدق ظنه حيث وجد بعض الماء المتجمع هناك ، فبلل به فمه وخطر بباله ان يحمل منه ما يقدر على حمله الى النبي (ص) لعلّه عطشان . فملأ قربته وانطلق مسرعاً صوب المسلمين فلما رآه احدهم من بعيد قال :

يا رسول الله ، ارى رجلاً قادماً نحونا .

فقال الرسول (ص) : حبذا لو كان أبا ذر .

وفي هذا الوقت صاح رجل من الصحابة : هو والله ابو ذر !

فقال رسول الله (ص) : رحم الله ابا ذر ، يعيش وحده ، ويموت وحده ويحشر وحده .

وعندما وصل ابو ذر استقبله النبي (ص) ووضع اثقاله ومتاعه عنه ، وأمر له بماءٍ ليشرب منه .

فقال ابو ذر : هذه قربتي مملوه بالماء .

أمعك ماء وانت تذوب عطشا؟!

نعم وجدته في طريقي وما احببت ان اشرب منه إلّا ان يشرب حبيبي رسول الله منه .

(٧٤)

الانتقام[١]

تقلد الوليد منصب الخلافة بعد وفاة عبد الملك بن مروان سنة ٨٦ هـ ، واستبد به احدى وعشرين سنة .

أخذ الخليفة الجديد بتعديل الجهاز الادراي للخلافة

---

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ٢٧ .

المروانية وذلك لكسب رضا المسلمين وخاصة اهل المدينة حيث كبار الصحابة والتابعين هناك ، علاوة على التخفيف من حقدهم وسخطهم على بني امية ، فعزل هشام بن اسماعيل والي المدينة آنذاك وعيّن مكانه عمر بن عبد العزيز حيث كان معروفا بالعدل والانصاف والامانة .

كان هشام بن اسماعيل واليا على المدينة في ذلك الوقت وكان ظالما جائرا سام اهلها مدة ولايته عليهم فقد جلد محدثّها سعيد بن المسيب ستين جلدة لامتناعه عن البيعة ، ثم البسه رداء باليا واركبه على بعير وطاف به في المدينة ، وكان يسيء معاملة العلويين ، وخاصة الامام علي بن الحسين زين العابدين (ع) فسأم الناس منه وضاقوا ذرعا به وبأسياده .

بعد ان عزل الوليد هشاما ، اراد ان ينفّس عن حقد الناس وحنقهم عليه ، فأمر به ان يوقف امام دار مروان بن الحكم وان ينتقم منه كل شخص تضرّر او أصابه اذى منه ، فانبرى الناس يمرّون عليه (ع) فقد قال : ما أخاف الاّ من علي بن الحسين ، لانه كان يعلم بأن جزاءه من الامام هو القتل لا غير لما عامله به من الظلم والسّب لابائه واجداده .

ولكن الامام (ع) اوصى خاصته بأن لا يتعرض له

احد بكلمة وعندما وصل اليه رفع صوته قائلا : السلام عليكم وتقدم نحوه مصافحا ثم قال له : انظر الى ما اعوزك من مال فعندنا ما يسعك فطب نفسا منّا ومن كلّ من يطيعنا فنادى هشام : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

فلما رأى اهل المدينة عمل الامام (ع) مع هشام كفّوا عن سبّه وشتمه .

(٧٥)

الرجل المجهول[1]

راها تحمل قربة الماء على متنها ، متجهة نحو بيتها ، فرقّ لحالها وضعفها واخذ القربة منها ، وحملها على ظهره ، فلما وصل البيت شاهد اطفالها ينتظرونها وعندما وضع القربة عن ظهره قال لها : يبدو انه ليس الى جانبك رجل يعينك . لو كان لذهب بدلا عنك لجلب الماء ، فكيف آل أمرك الى هذا المآل ؟

ـ كان زوجي جندياً فأرسله عليّ بن ابي طالب (ع) الى جهة الحدود فقتل هناك .

---

(١) بحار الانوار ج ٧ ص ٥٩٧ .

استمع الرجل الى مقالها وذهب ، الاّ انه اخذ يفكّر فيها وفي اطفالها . وفي اليوم التالي ذهب الى بيتها يحمل معه ما استطاع ان يهيأه من لحم ودقيق وتمر ، ولما وصل الى بيتها طرق الباب .

ـ من الطارق ؟

ـ انا الذي حملت عنك القربة بالامس وجئت اليوم بطعام للأطفال .

ـ رضي الله عنك ، وحكم بيننا وبين علي بن ابي طالب .

فتح الباب ودخل الرجل ووضع ما كان يحمله من الطعام على الارض ثم توّجه الى المرأة قائلا : اريد ان اكسب بعض الثواب ، فاسمحي لي بأن أعجن الطحين واخبزه أو التزم رعاية الاطفال .

ـ ولكنني احسن عمل العجين وخبزه ، فالتزم أنت رعاية الاطفال . وبعد أن ذهبت المرأة لعملها ، قام الرجل وطبخ بعض اللحم الذي جاء به ، ثم قدّمه مع شيء من التمر لاطفالها ، كان يضعه في أفواههم ويقول لهم : اعفوا عن علي بن ابي طالب ان كان مقصرا في حقكم .

وعندما انتهت المرأة من اعداد العجين، نادت الرجل

وطلبت منه ان يوقد لها التنور ، فذهب واوقده لها ، اضطرمت النار فيه ـ مسّته حرارتها فقال في نفسه : ذق حرارة النار ، هذا جزاء من يفرط في حقوق الأرامل والأيتام .

في هذا الوقت دخلت البيت امرأة من الجيران فلمّا وقع نظرها على الرجل وهو يوقد التنور قالت للمرأة صاحبة الدار : الا تعرفين هذا الرجل الذي طلبت منه مساعدتك ؟ انه امير المؤمنين علي بن ابي طالب .

فتقدمت هذه المرأة الضعيفة نحو الامام (ع) تطلب العذر والعفو .

ـ كلا لا تعتذري، انا الذي اعتذر اليك ، لانني قصّرت في حقك !

قصص الأبرار

القسم الثاني

تأليف

الاستاذ الشهيد مرتضى مطهري

مؤسسة أهل البيت (ع)
بيروت ـ لبنان
ص.ب ١٨١/٢٥ الغبيري

بسم الله الرحمن الرحيم

(٧٦)

عدي بن حاتم[1]

كان عدي بن حاتم شديد الكراهية للنبي (ص) ، وكان ملكا في قومه يأخذ الربح من غنائمهم لأنه سيدّهم ، وكان نصرانيا يخفي دينه عن قومه ، فلّما سمع بأن جيوش المسلمين على مقربة منه ، يريدون حربه قال لغلامه : أعددْ لي من ابلي جمالاً ذللاً وسماناً ، فأحضرها الغلام له ، فحمل اهله وولده ، وهرب بهم الى الشام ، حيث أقام هناك ولكنه خلّف اختاً له يقال لها (سفانة) ولم يأخذها معه .

فلّما وطأت جيوش المسلمين أرضه أصابت فيمن اصابت (سفانة) فقدم بها الى رسول الله (ص) فجعلت في حظيرة بباب المسجد حيث كانت السبايا يحبسن هناك ،

---

(١) سيرة بن هشام ج ٤ ص ٢٢٥ ـ ٢٢٨ .

فمرّ بها رسول الله (ص) فقامت اليه وقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد وغاب الوافد ، فامنن عليّ منّ الله عليك .

قال : ومن وافدك ؟

قالت : عدي بن حاتم .

قال : الفارّ من الله ورسوله ؟ ومضى .

ثم مر بها في اليوم الثاني ، فقالت له مثلما قالت بالأمس ، فأجابها النبي (ص) بالجواب الأول وتركها .

قالت (سفانة) : حتى اذا كان الغد مرّ بي وقد يئست منه ، فأشار الي رجل من خلفه ، ان قومي فكلّميه : قالت فقمت اليه .

فقلت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن عليّ منّ الله عليك .

فقال (ص) : قد فعلت ، فلا تعجلي بالخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك مورد ثقة ، حتى يبلغك الى بلادك ، ثم آذنيه .

فسألتُ عن الرجل الذي أشار اليّ ان اكلّمه فقيل علي بن ابي طالب (ع) .

أقامت سفانة بالمدينة حتى قدم ركب ممن تثق بهم ، فجاءت الى النبي (ص) وقالت : يا رسول الله ، قد جاء رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ .

فكساها رسول الله (ص) واعطاها نفقة ، وارسلها معهم حتى بلغت الشام فلّما وصلت دخلت على اخيها عدي ، اخذت في لومه ومضت فيه مجدّة .

فقالت : احتملت باهلك وولدك وتركت بقية والدك وعورتك .

فقال لها : اي أخيّة ، لا تقولي الاّ خيراً ، فوالله مالي من عذر .

ثم قال لها وكانت امرأة حازمة : « ماذا ترين في أمر هذا الرجل » .

قالت : أرى والله ان تلحق به سريعاً ، فان يكن الرجل نبيّاً ، فللسابق اليه فضله ، وان يكن ملكاً فلن تذل في عزّ اليمن ، وانت انت .

قال : والله ان هذا لهو الرأي الصواب .

قال عدي : فخرجت حتى قدمت على رسول الله (ص) في المدينة ، وهو في مسجده ، فسلّمت عليه ،

فقال : من الرجل ؟ فقلت عدي بن حاتم ، فقام رسول الله (ص) فانطلق بي الى بيته ، فوالله انه لعائد بي اليه اذ لقِيَتْه امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تكلّمه في حاجتها فقلت في نفسي : والله ما هذا بملك ، ثم مضى بي حتى اذا دخل بي بيته ، فتناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقذفها اليّ ، وقال اجلس على هذه فقلت : بل انت اجلس عليها فقال (ص) : بل أنت فجلست عليها ، وجلس (ص) على الارض فقلت في نفسي ، والله ما هذا بأمر ملك .

ثم قال (ص) : ايه يا عدي بن حاتم ، ألم تك ركوسيّا[1] .

قلت : بلى .

قال (ص) : أولم تكن تسير مع قومك بالمرباع ؟ فقد كان يأخذ منهم ربع الغنائم .

قلت : بلى .

قال : فان ذلك لم يكن يحّل لك في دينك .

---

(١) الركوسي : من الركوسية : وهم قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئة .

قلت : اجل والله ، ثم علمت بأنه نبيّ مرسل ، يعلم ما يُجهل .

ثم قال : لعلك يا عدي انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال ان يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلّك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدّوهم وقلّة عددهم ، فوالله ليوشكن ان تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ولعلّك انما يمنعك من الدخول فيه انك ترى ان الملك والسلطان في غيرهم ، وأيّم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم . قال عدي : فأسلمت .

وكان عديّ يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، اذ رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج هذا البيت . وأيّم الله لتكون الثالثة ، ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه .

(٧٧)

امتحان الذكاء[١]

لم يـوفّق الطّلاب للاجـابة عـلى السؤال الذي طـرحه استاذهم ، فلقد اجاب كل واحـد منهم جواباً لم يقع مـوقع القبول لدى الاستاذ .

كان سؤال استاذهم الـرسول (ص) هـو : أيّ عرى الايمان أوثق ؟

أجـابه واحد من الصحابة : الصلاة .

النبي (ص) : لا .

أجابه آخر : الزكاة .

النبي (ص) : لا .

أجاب الثالث : الصوم ،

النبي (ص) : لا .

وقال الرابع : الحج والعمرة .

---

(١) الـكـافي ج ٢ ص ٢٥ ، بـاب الحب في الله والـبغض في الله . وسائل الشيعة ج ٢ ص ٤٩٧ .

النبي (ص) : لا .

أما الخامس فقال : الجهاد .

النبي (ص) : لا .

كانت النتيجة ، ان الجواب المطلوب لم يصدر من أحد من الحاضرين بل صدر من المعلم نفسه فقال (ص) : لكل ما قلتم فضل ، ولكن ليس المطلوب ما قلتم . انّ أوثق عرى الايمان الحبّ في الله والبغض في الله .

(٧٨)

جويبر والزلفاء[١]

كان جويبر رجلاً قصيراً دميماً ، محتاجاً عارياً ، وكان اسود من قباح السودان ، وكان من اهل اليمامة . جاء الى رسول الله (ص) طالباً الاسلام ، فأسلم على يده (ص) ، وحسن اسلامه . ضمه رسول الله (ص) لحال غربته واحتياجه ، فكان يجري عليه طعاماً صاعاً من تمر ، وكساه شملتين وأمره ان يلزم المسجد ويرقد فيه بالليل ،

---

(١) الكافي ج ٥ ص ٣٤٠ ـ ٣٤٣ .

فمكث هناك ما شاء الله ، حتى كثر الغرباء ممن يدخلون في الاسلام ، من اهل الحاجة بالمدينة الى ان ضاق بهم المسجد ، فأوحى الله عز وجل الى نبيه (ص) أن طهّر مسجدك وأخرج من المسجد من يرقد فيه بالليل .

أمر رسول الله (ص) بعد ذلك أن يتخذ المسلمون سقيفة ، فعملت لهم وهي الصّفة ، ثم أمر الغرباء والمساكين أن يظلّوا فيها نهارهم وليلهم ، فنزلوا واجتمعوا فيها ، فكان رسول الله (ص) يتعهدهم بالبر والتمر والشعير والزبيب ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وكان المسلمون يتعهدونهم ويرقون عليهم لرّقة الرسول (ص) .

نظر رسول الله (ص) الى جويبر ذات يوم ، وقال له : يا جويبر لو تزوجت امرأة فعففت بها فرجك واعانتك على دنياك وآخرتك .

فقال جويبر : يا رسول الله بأبي انت وأمي من يرغب فيّ ، فوالله ما من حسب ولا نسب ولا مال ولا جمال ، فاية امرأة ترغب بي ؟

فقال رسول الله (ص) : يا جويبر ان الله قد وضع بالاسلام من كان في الجاهلية شريفاً ، وشرّف بالاسلام من كان في الجاهلية وضيعاً ، وأعز بالاسلام من كان في الجاهلية ذليلاً ، وأذهب بالاسلام ما كان من نخوة

الجاهلية ، وتفاخرها بعشائرها ، وباسق انسابها ، فالناس اليوم كلهّم ، ابيضهم واسودهم وقرشيهم ، وعربيهم واعجميهم ، من آدم وان ادم خلقه الله من طين ، وانّ احب الناس الى الله عز وجل يوم القيامة اطوعهم له واتقاهم ، وما أعلم يا جويبر لأحد من المسلمين عليك اليوم فضلاً ، الاّ لمن كان أتقى لله منك وأطوع .

ثم قال له : انطلق يا جويبر الى زياد بن لبيد فانه من أشرف بني بياضة حسباً ـ وهي قبيلة من الانصار ـ وقل له : اني رسول رسول الله اليك وهو يقول لك : زوّج جويبراً ابنتك الزلفاء .

انطلق جويبر برسالة رسول الله (ص) الى زياد بن لبيد وهو في منزله ورهط من قومه لديه ، فاستاذنه بالدخول ، فأذن له ، فدخل فسلّم عليه ، ثم قال : يا زياد بن لبيد ، اني رسول رسول الله (ص) اليك في حاجة لي ، افأبوح بها أم أسرّها اليك ؟

فقال له زياد : بل بح بها ، فان ذلك شرف لي وفخر ، فقال له جويبر : ان رسول الله (ص) يقول لك زوج جويبراً ابنتك الزلفاء .

فقال له زياد : أرسول الله أرسلك اليّ بهذا ؟

ـ نعم ، فما كنت لأكذب على رسول الله (ص) .

فقال له زياد : انّا لانزوج فتياتنا إلّا أكفاءنا من الانصار .

ثم قال له : انصرف يا جويبر حتى القى رسول الله (ص) فأخبره بعذري .

انصرف جويبر وهو يقول : والله ما بهذا نزل القرآن ولا بهذا ظهرت نبوة محمد (ص) ، فسمعت مقالته الزلفاء بنت زياد وهي في خدرها ، فأرسلت الى أبيها ، تستدعيه ، فدخل اليها ، فقالت له : ما هذا الكلام الذي سمعتك تحاور به جويبراً ؟

فقال لها : ذكر لي ان رسول الله (ص) ارسله ، وقال : يقول رسول الله (ص) : زوج جويبراً ابنتك الزلفاء .

فقالت له : والله ما كان جويبر ليكذب على رسول الله (ص) بحضرته فابعث الآن رسولا يرّد عليك جويبراً .

فبعث زياد رسولاً فلحق جويبراً وجاء به ، فقال له زياد : يا جويبر مرحباً بك اطمئن حتى اعود اليك . ثم انطلق زياد الى رسول الله (ص) : فقال له : بأبي أنت

وأمي ان جويبراً أتاني برسالتك وقال : ان رسول الله (ص) يقول لك : زوّج جويبراً ابنتك الزلفاء فلم ألن له بالقول ورأيت لقاءك ، ونحن لانزوج فتياتنا إلّا اكفاءنا من الانصار .

فقال له رسول الله (ص) : يا زياد جويبر مؤمن والمؤمن كفوء للمؤمنة ، والمسلم كفوء للمسلمة فزوجه يا زياد ولا ترغب عنه .

رجع زياد الى منزله ودخل على ابنته ، فقال لها ما سمعه من رسول الله (ص) . فقالت له : انك ان عصيت رسول الله كفرت ، فزّوج جويبرا ، فخرج زياد فأخذ بيد جويبر ، ثم اخرجه الى قومه ، وزوّجه على سنة الله وسنة رسوله (ص) وضمن صداقته .

جهز زياد ابنته الزلفاء وهيأها ثم ارسلوا على جويبر فقالوا له : الك منزل فنسوقها اليك ؟ فقال : والله مالي من منزل .

فهيأوا لجويبر منزلاً وأثثوه بالفراش والمتاع وكسوا جويبراً ثوبين وأدخلت الزلفاء بيتها وأدخل جويبراً عليها ، فلما رآها ، ورأى ما منحه الله من نعمة ، قام الى زاوية البيت ، فلم يزل تالياً للقرآن راكعاً ساجداً حتى طلع

الفجر ، فلما سمع النداء خرج وخرجت زوجته الى الصلاة فسئلت : هل مسّك ؟ فقالت : ما زال تالياً للقرآن وراكعاً وساجداً حتى سمع النداء ، فخرج ، وهكذا كانت الحال في الليلة الثانية والثالثة ، فلما كان اليوم الثالث أخبر ابوها بالخبر . فانطلق الى رسول الله (ص) : وحكى له ما كان من أمر جويبر .

فأرسل النبي (ص) الى جويبر يطلبه ، فلما حضر قال له (ص) : أما تقرب النساء ؟

فأجاب جويبر : أوما أنا بفحل ، اني لنهم الى النساء يا رسول الله .

فقال (ص) : قد خبرت بخلاف ما وصفت به نفسك ، وقد هيأوا لك بيتاً وفراشاً ومتاعاً .

فأجاب جويبر : يا رسول الله دخلت بيتاً وساعاً ورأيت فراشاً ومتاعاً وأدخلت علي فتاة حسناء ، فذكرت حالي التي كنت عليها وغربتي وحاجتي ووضعيّتي وكسوتي مع الغرباء والمساكين ، فأحببت اذ أولاني الله ذلك ، أن أشكره على ما أعطاني وأتقرب اليه بحقيقة الشكر ، فرأيت ان أقضي الليل مصلياً والنهار صائماً ففعلت ذلك ثلاثة أيام ولياليها ، ولكني سأرضيها وأرضيهم الليلة . فأرسل رسول الله (ص) الى زياد فاتاه ، فاعلمه ما قال جويبر .

وفى جويبر بقوله : وعاش مع زوجته بسعادة وأنس وصفاء ، الى ان خرج النبي (ص) الى غزوة ، فخرج معه فاستشهد ، وبعد استشهاد جويبر ، لم تكن في الانصار امرأة حرة أروج في رغبة الناس الى الزواج منها وبذل الاموال الطائلة في الخطوة بها من الزلفاء .

(٧٩)

نصيحة(١)

جاء رجل الى النبي (ص) وقال له : يا رسول الله : أوصني ، فقال له النبي (ص) : فهل انت مستوص ان أنا أوصيتك ؟

ـ نعم يا رسول الله .

فكرّر (ص) : فهل انت مستوص ان انا أوصيتك ؟

فأجابه الرجل : نعم يا رسول الله .

وأعاد الرسول (ص) سؤاله للمرّة الثالثة : فهل انت مستوص ان أنا أوصيتك ؟

---

(١) وسائل الشيعة ج ٢ ص ٤٥٧ .

ـ نعم يا رسول الله .

وبعد ان اطمأن النبي (ص) بانه سيعمل بنصيحته ، لفت نظره الى اهمية ما يريد ان يتفوه به وقال :

اذا هممت بأمر فتّدير عاقبته فان يك رشداً ، فأمضه وان يك غيّا فانته عنه .

(٨٠)

التصميم المفاجيء(١)

تعجب هارون الرشيد كثيرا لّما بلغه أن صفوان الجمال قد باع الجمال التي أكراها له لكي تحمل أمتعته الى الحج ، فبعث على صفوان الجمال وقال له : بلغني أنك بعت جمالك .

ـ نعم يا امير المؤمنين .

ـ وَلِمَ ؟

ـ لاني شيخٌ عاجزٌ وان الغلمان لا يفون بالاعمال .

ـ قل الصدق ، لماذا بعت الجمال ؟

---

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ١٠٧ .

ـ كما قلت لك .

ـ هيهات ، هيهات ، انّي لأعلم من أشار عليك بهذا ، انه موسى بن جعفر . ثم أردف بخشونةٍ وغضب : اعلم يا هذا فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك . كان حدس هارون الرشيد صحيحاً ، فمع ان صفوان كان من المقربين الى الخليفة وله سوابق وروابط معه ، الاّ انه كان من اصحاب الامام موسى الكاظم (ع) واتباعه المخلصين ، فبعد ان تعاقد مع الخليفة على ان يكري له جماله الى الحج التقى الامام موسى بن جعفر (ع) فقال له الامام (ع) : يا صفوان كلّ شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً .

ـ اي شيء يا ابن رسول الله ؟

ـ كرايتك الجمال من هذا الرجل ـ يعني هارون الرشيد :

ـ والله ما اكريته أشراً . ولا بطراً ، ولا للصيد ، ولا للّهو ، ولكن اكريته لطريق مكة ، ولا اتولاه بنفسي . بل ابعث غلماني معه .

ـ أيقع كراك عليهم ؟

ـ نعم يا ابن رسول الله .

ـ اتحبّ بقاءهم حتى يخرج كراك .

ـ نعم يا ابن رسول الله .

فقال الامام (ع) : فمن أحبّ بقاءهم فهو منهم ، ومن كان منهم فقد ورد النار .

وعلى اثر هذا فقد ذهب صفوان وباع جماله عن آخرها .

(٨١)

ما أعظم بركة هذه النقود[١]

أعطي النبي (ص) الى علي بن ابي طالب (ع) اثني عشر درهماً ، وقال له : يا علي خذ هذه الدراهم ، واشتر لي بها ثوباً البسه .

قال علي (ع) : فجئت الى السوق فاشريت له قميصا باثني عشر درهماً ، وجئت به الى رسول الله (ص) فنظر اليه ، وقال : يا علي غير هذا احبّ اليّ ، أترى صاحبه يقبلنا ، فقلت لا ادري ، فقال : انظر .

قال علي (ع) : فجئت الى صاحبه فقلت : ان

---

(١) بحار الانوار ج ٦ باب مكارم اخلاقه وسيره وسننه .

رسول الله (ص) قد كره هذا ويريد ثوباً دونه ؛ فأقلنا فيه ، فردّ عليّ الدراهم ، وجئت بها الى رسول الله (ص) ، فمشى معي رسول الله (ص) الى السوق ، ليبتاع قميصاً ، فرأى جارية على الطريق تبكي ، فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت ، يا رسول الله ، ان اهل بيتي أعطوني اربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة فضاعت ، ولا أجسر أن ارجع اليهم ، فاعطاها رسول الله (ص) أربعة دراهم وقال لها : ارجعي الى اهلك . ومضى (ص) الى السوق فاشترى قميصاً بأربعة دراهم ولبسه ، وحمد الله ، وخرج فراى رجلاً عرياناً يقول : من كساني كساه الله من ثياب الجنة ، فخلع رسول الله (ص) قميصة الذي اشتراه وكساه السائل ، ثم رجع الى السوق فاشترى بالاربعة التي بقيت قميصاً آخر فلبسه وحمد الله ورجع الى منزله ، واذا الجارية على الطريق فقال لها رسول الله (ص) : ما لك لا تأتين اهلك ؟ قالت : يا رسول الله اني قد أبطأت عليهم واخاف ان يضربوني .

فقال لها رسول الله (ص) : دليّني على اهلك . فدلته .

فجاء (ص) حتى وقف على باب دارهم ثم قال :

السلام عليكم يا أهل الدار . فلم يجيبوه فأعاد

السلام فلم يجيبوه فأعاد السلام فقالوا : عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

فقال (ص) لهم : ما لكم تركتم اجابتي في اول السلام والثاني فقالوا : يا رسول الله سمعنا سلامك فأحببنا ان نستكثر منه .

فقال (ص) : ان هذه الجارية ابطأت عليكم ، فلا تؤاخذوها .

فقالوا : يا رسول الله هي حرّة لمشاك (اي لمقدمك) .

فقال (ص) : الحمد لله ، ما رأيت اثني عشر درهماً اعظم بركة من هذه . كسى الله بها عريانين ، واعتق رقبة .

(٨٢)

ارتفاع الاسعار[1]

أصيبت المدينة مرة بالقحط ، فارتفعت اسعار الحبوب فيها وتزايد الثمن ، واستولى القلق والخوف على

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ١٢١ .

ساكنيها ، فسارع من لم يدخر شيئا الى جمع ما يكفيه ، وأبقى من كان قد ادخرّ سابقاً على ما ادخره .

وكان من بين هؤلاء من أجبره الفقر على ان يشتري طعامه يوما بيوم . فسأل الامام الصادق (ع) (معتبا) وكان يشرف على ادارة شؤون بيت الامام (ع) : كم عندنا من طعام ؟

فأجاب معتب : ما يكفينا كثيراً .

فقال الامام (ع) : أخرجه الى السوق وبعه .

فأجاب معتب : لا يوجد في المدينة طعام ، فاذا بعناه لا يمكننا ان نشتري غيره .

ـ أخرجه الى السوق وبعه .

فلّما أخرج معتب ما كان معه من الحنطة وباعه ، قال له الامام (ع) : اشتر مع الناس يوماً بيوم ، ثم قال ، يا معتب ، اجعل قوت عيالي نصفاً شعيراً ونصفاً حنطة فان الله يعلم اني اقدر ان أطعمهم الحنطة وحدها ، ولكني احبّ ان يراني الله قد احسنت تقدير المعيشة .

(٨٣)

من تواضع أهل البيت (ع) [١]

لم يتبع الخلفاء الامويون والعباسيون سيرة النبي (ص) والخلفاء الراشدين من بعده ، بل اتخذوا لهم طرقاً خاصة في ادارة الناس ، وعادات خاصة ايضا في المعيشة ، حتى نسيت الطريقة التي كان يسير عليها الرسول (ص) والخفاء الراشدون تدريجياً .

كانت سيرة الرسول (ص) وآل بيته من بعده هي عدم التعسف وعدم التكبّر بل التواضع بين الناس ومسايرتهم وعدم تحميلهم ما لا طاقة لهم عليه .

فمن سيرة الامام الصادق (ع) انه دخل يوماً الحمام ، فقال له صاحب الحمام : اخليه لك ؟

---

(١) بحار الانوار - ج١١ ص ١١٧ .

(٢) كان صاحب الحمام يخليه للخليفة وغيره من البارزين والاعيان لتكبرهم على الرعية وعامة الناس، فقد يتساءل الافراد لماذا جاء صاحب الحمام فاخرجنا بعنف وتعسف ونحن لما ننته من الغسل والنظافة ، فيكون الجواب ان الخليفة يريد الدخول او احد الاعيان ولا يريد في الحمام من يزعجه .

فقال الامام (ع) : لا حاجة لي في ذلك ، المؤمن أخف مؤونة من ذلك .

(٨٤)

الحاجة الى الماء[١]

قبل ان تستعر نار الحرب في صفّين ، كان أبو الاعور السلمي على مقدمة جيش لمعاوية ، قد سبق معاوية ليستطلع الخبر ، وقد ناوش مقدمة جيش علي (ع) ، وكان عليه الاشتر النخعي ، مناوشة ليست بالعظيمة ثم انصرف عن الحرب راجعاً ، فسبق الى الماء وتسلّط عليه في الموضع المعروف بقناصرين الى جانب صفين ، ثم ساق الاشتر يتبعه فوجده مهيمناً على الماء ، فصدوّا أبا الاعور وأزالوه عن الماء بعد ذلك ، ثم أقبل في جميع الفيلق بقضّه وقضيضه ، فلّما رآهم الاشتر انحاز الى علي (ع) وغلب معاوية واهل الشام على الماء ، وحالوا بين اهل العراق وبينه ، فدعا الامام (ع) صعصعة بن صوحان وقال له : ائت معاوية وقل له انّا سرنا اليك مسيرنا هذا ، وانا اكره

---

(١) شرح ابن ابي الحديد خطبة (٥١) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ج١ ص ٤١٩ ـ ٤٢٨ .

قتالكم قبل الاعذار اليكم ، وانك قدمت خيلك لمقاتلتنا ، قبل ان نقاتلك ، وآبتدأتنا بالحرب ونحن ممن رأينا الكف حتى ندعوك ، ونحجّ عليك ، وهذه أخرى قد فعلتموها ، قد حُلتم بين الناس وبين الماء ، فخلّ بينهم وبينه حتى ننظر فيما بيننا وبينكم ، وفيما قدمنا له وقدمتم له . . . فلما مضى صعصعة برسالته الى معاوية ، ابى معاوية واصحابه ان يخلّوا بين القوم وبين الماء ، ما عدا عمرو بن العاصّ حيث قال لمعاوية ، خلّ بينهم وبين الماء فان علياً لم يكن ليظمأ وأنت ريّان وفي يده أعنة الخيل ، وهو ينظر الى الفرات حتى يشرب أو يموت ، وانت تعلم انه الشجاع المطرق .

قال : عبد الله بن عوف بن أحمر ، لما رجع صعصعة الينا ، وأخبرنا بما جرى بينه وبين معاوية واصحابه اذ دلفنا اليهم ، واضطربنا بالسيوف فطال ذلك بيننا وبينهم حتى صار الماء في أيدينا ، فقلنا لاوالله لا نسقيهم ، فأرسل الينا عليّ (ع) ، أن خذوا من الماء حاجتكم ، وارجعوا الى معسكركم ، وخلّوا بينهم وبين الماء ، فان الله قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم ، اني لا افعل ما فعله الجاهلون ، سنعرض عليهم كتاب الله ، وندعوهم الى هدى فان أجابوا فنعما هي والاّ ففي حدّ السيف ما يغني ان شاء الله .

قال نصر : فوالله ما امسى الناس ، حتى رأوا سقاة اهل العراق ورواياهم ، وسقاة اهل الشام ورواياهم يزدحمون على الماء ازدحاماً شديداً .

(٨٥)

الشكوى من الزمان[١]

روى المفضل بن قيس بن مانة قال :

دخلت على أبي عبد الله (ع) فشكوت اليه بعض حالي ، وسألته الدعاء ، فنادى : يا جارية هات الكيس الذي وصلنا به أبو جعفر ، فجاءت بكيس .

فقال : هذا كيس فيه أربعمائة دينار ، فاستعن به .

فقلت : لا والله ، جعلت فداك ما أردت هذا ، ولكن أردت الدعاء لي .

فقال لي : ادعو الله ، ولكن لا تخبر الناس بكل ما أنت فيه فتهون عليهم .

---

(١) بحار الانوار ج١١ ص ١١٤ .

(٨٦)

عتاب أستاذ[١]

كان السيد جواد العاملي ، صاحب مفتاح الكرامة ، يتعشى ليلة ، واذا بطارق طرق الباب عليه ، عرف انه خادم السيد بحر العلوم ، فقام الى الباب عجلاً ، فقال له الخادم : ان السيد بحر العلوم وضع بين يديه عشاءه ، وهو ينتظرك ، فذهب السيد جواد اليه عجلا ، فلما التقيا قال له السيد بحر العلوم : اما تخاف الله ، اما تراقبه ، اما تستحي منه ، فقال السيد جواد : ما الذي حدث ؟ فقال السيد بحر العلوم : ان رجلا من اخوانك كان يأخذ من البقال قرضا لعياله كل يوم وليلة قسبا (نوع من التمر العادي) ليس يجد غير ذلك ، فلهم سبعة أيام لم يذوقوا الحنطة والأرز ، ولا أكلوا غير القسب ، وفي هذا اليوم ذهب ليأخذ قسبا لعشائهم ، فقال له البقال : بلغ دينك كذا وكذا فاستحى من البقال ، ولم يأخذ منه شيئا ، فبات هو وعياله بغير عشاء ، وأنت تتنعم وتأكل ، وهو ممن يصل الى دارك وتعرفه ، وهو فلان .

---

(١) الكنى والالقاب ج ٢ ص ٦٠ ـ ٦١ .

فقال السيد جواد : والله مالي علم بحاله ، فقال السيد بحر العلوم : لو علمت بحاله وتعشيت ، ولم تلتفت اليه ، لكنت يهوديا أو كافرا ، وانما أغضبني عليك ، عدم تفقدك اخوانك ، وعدم علمك بأحوالهم ، فخذ هذه الصينية ، يحملها لك خادمي ، يسلّمها اليك عند باب داره ، وقل له : قد احببت ان اتعشى معك الليلة ، وضع هذه الصرة تحت فراشه او حصيره وأبق له الصينية ، فلا ترجعها . وكانت كبيرة فيها عشاء ، وعليها من اللّحم المطبوخ النفيس ما هو مأكل اهل التنّعم والرّفاه .

وقال السيد بحر العلوم : اعلم انّي لا اتعشى حتى ترجع اليّ فتخبرني انه قد تعشى وشبع فذهب السيد جواد ومعه الخادم حتى وصلوا الى دار المؤمن ، فأخذ من يد الخادم ما حمله ورجع الخادم ثم طرق الباب فخرج الرجل فقال له السيد جواد : أحببت ان اتعشى معك الليلة ، فلما جلسا قال له المؤمن : ليس هذا زادك لأنه مطبوخ نفيس لا يصلحه العرب ، ولا آكل منه شيئا حتى تخبرني بأمره . فأصر عليه السيد جواد بالأكل ، وأصر هو بالامتناع ، فذكر له القصّة .

فقال المؤمن : والله ما اطلع علي أحد من جيراننا فضلا عمن بعد ، وان هذا لشيء عجيب !

(٨٧)

الفطور[١]

كان أنس بن مالك يخدم في بيت النبي (ص) سنين طويلة ، وكان مطلعا على اخلاق النبي (ص) وعاداته وسيرته ، وكان يعلم ما يأكل وما يلبس وبأي شكل من البساطة وعدم التكلف يعيش ، فقال : كان لرسول الله (ص) شربة يفطر عليها وشربة للسحر ، وربما كانت واحدة وربما كانت لبنا ، فهيأتها له ذات ليلة فتأخر (ص) فظننت ان بعض أصحابه دعاه الى الفطور وقبل دعوته ، حينئذ شربتها انا ، فجاء (ص) بعد ان انقضى شوط من الليل ، فسألت بعض من كان معه : هل أفطر النبي (ص) في مكان أو دعاه أحد فقال : لا ،

قال أنس فبت بليلة لا يعلمها الاّ الله من غمّ ان يطلبها النبي (ص) ﴿ فيبيت جائعاً ويصبح صائما ، فما سألني عنها ولا ذكرها حتى الساعة .

---

(١) كحل البصر ـ ص ٦٧ .

(٨٨)

البزّاز[١]

كان ابو بكر محمد بن سيرين البصري رجلاً بزّازاً ، وكان جميلاً ، فعشقته أمرأة ، وطلبته لتشتري منه بزا[٢] فأدخلته دارها ، وطلبت منه الرّفث[٣] .

فقال : معاذ الله ، وشرع في ذمّ الزنا ، فلم ينفع ذلك فخرج من عندها الى الكنيف[٤] ، فلّطخ بدنه بالقذارات ، فلّما رأته المرأة بتلك الهيئة القبيحة تنفرت منه ، وأخرجته من دارها .

(٨٩)

أوضاع الكواكب[٥]

بالاضافة الى أنّ عبد الملك بن أعينُ ـ أخا زرارة بن

---

(١) الكنى والالقاب ج ١ ص ٣٠٨ .

(٢) البز : جمعها بزوز . الثياب من الكتان والقطن .

(٣) الرفث : الزنا .

(٤) الكنيف : المرحاض . جمعها كنف .

(٥) وسائل الشيعة ج ٢ ص ١٨١ .

أعين ـ كان راوية للحديث ، فانه كان عالما بالنجوم ومعتقداً بتأثير الكواكب ، وقد جمع كتباً كثيرة حول هذا العلم ، وكان كلّما أراد انجاز حاجة رجع الى هذه الكتب ، وطالع النجوم والكواكب ليرى ما تحكم به ، وبمرور الزمان تعوّد على هذا العمل حتى نشأ في نفسه نوع من الوسواس من جرّائه ، بحيث انه كان يراجع النجوم في كلّ عمل اراد القيام به ، وهنا أحسّ بأن هذا العمل قد يهدد حياته ، واصبحت وساوسه تزاداد يوماً بعد يوم ، وانه اذا استمر هذا الوضع ورتب الأثر على ما تبديه النجوم من سعد الأيام والساعات ونحسها ، فان حياته ستتدهور ، وهو مع هذا كلّه لم ير من نفسه القوة على الامتناع عن ذلك ، وكان دائماً يحسد الناس ويغبطهم على ما يشاهده منهم : من التوكل على الله في الاعمال ، وعدم الاعتناء بمثل هذه الامور ، فذهب الى الامام الصادق (ع) ، وشكا له حاله ، فقال : اني قد أبتليت بهذا العلم . فسأله الامام (ع) بتعجب : امعتقد انت بهذه الأشياء وتعمل بها ؟

ـ نعم يا ابن رسول الله .

ـ انا آمرك فاذهب واحرق كتبك كلّها .

فكان لكلام الامام ، اكبر الوقع في نفسه ومنحه قوة روحية عالية دفعته الى احراق كلّ كتبه حيث اراح باله

منها .

(٩٠)

المنجّم[1]

لمّا عزم أمير المؤمنين (ع) على المسير بجنده الى النهروان جاءه منجم وقال له : يا امير المؤمنين عندي مطلب أريد ان اخبرك به ، فقال أمير المؤمنين (ع) : وما هو ؟

قال : لا تسر في هذه الساعة ، وانتظر حتى تمضي ثلاث ساعات من النهار .

فسأله الامام (ع) مستغرباً : ولم ؟

ـ لأنك ان سرت في هذه الساعة أصابك واصاب أصحابك أذى وضرر شديد . وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظفرت ، وظهرت ، واصبت كلّما طلبت .

فقال امير المؤمنين (ع) : انّ فرسي حامل ، اتدري ما في بطنها ؟ هل ذكرٌ ام أنثى ؟

ـ المنجم : ان حسبت علمت .

فقال امير المؤمنين : من صدقك على هذا القول فقد

---

(١) وسائل الشيعة ج٢ ١٨١ ونهج البلاغة الخطبة ٧٧ .

كذّب بالقرآن . انّ الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الارحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأي ارض تموت . ان الله عليم خبير[1] . وما كان النبي (ص) يدعي ما ادعّيت ، اتزعم أنك تهدي الى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السؤ ، وتخوّف الساعة التي من سار فيها حاق به الضّر . فمن صدقك بهذا فقد كذّب القرآن واستغنى بقولك عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه ، وتبتغي في قولك للعامل بأمرك ان يوليك الحمد دون ربّه ، لانك بزعمك انت هديته الى الساعة التي نال فيها النفع ، وامن الضّر . ثم اقبل (ع) على الناس فقال : ايّها الناس ، ايّاكم وتعلم النجوم ، الاّ ما يهتدي به في بر او بحر ، فانها تدعوا الى الكهانة ، والمنجم كالكاهن ، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر ، والكافر في النار . سيروا على اسم الله .

ثم رفع طرفه الى السماء وقال : اللهم لاَ طيرَ إلاّ طيرك ، ولا ضير إلاّ ضيرك ، ولا خير إلاّ خيرك ، ولا اله غيرك .

ثم التفت الى المنجّم وقال : نحن نعمل بخلاف

---

(١) سورة لقمان الآية ٣٤ .

قولك ، ونسير في الساعة التي نهيت عنها ، ثم امر بالحركة والتوجه نحو العدو ، حيث كان النصر ينتظره واصحابه .

(٩١)

السعي في قضاء حاجة المؤمن[1]

كان صفوان الجّمال حاضراً في مجلس الأمام الصادق (ع) ، اذ دخل على الامام رجل من أهل مكة يقال له ميمون ، وشكا للأمام تعذّر الكراء عليه ، فقال الامام (ع) لصفوان : قم واعن أخاك على قضاء حاجته . فقام صفوان وذهب مع الرجل ، فيسّر الله له كراه ، ثم رجع صفوان الى مجلس الامام (ع) ، فسأله الأمام (ع) ، ما صنعت في حاجة أخيك ؟ قال : قضاها الله .

فقال الامام الصادق (ع) : أما انك اذا اعنت أخاك المسلم احب اليّ من طواف اسبوع بالبيت الحرام .

ثم أضاف : ان رجلاً أتى الامام الحسن (ع) وقال : اعنّي على قضاء حاجة ، فتنعلّ الامام وقام معه ، فمرّا على الحسين (ع) وهو قائم يصلي ، فقال الامام

---

(١) اصول الكافي ج ٢ ص ١٩٨ ـ باب السعي في حاجة المؤمن .

الحسن (ع) للرجل : اين كنت عن أبي عبد الله تستعينه على حاجتك ؟

قال : اردت ان أعلمه بحاجتي فأخبرني بأنه معتكف .

فقال الامام (ع) : : اما انه لو اعانك ، كان خيراً له من اعتكافه شهراً .

(٩٢)

من هو اكثر عبادة[١]

كان يحضر مجلس الامام الصادق (ع) ، ويستمع الى حديثه ودرسه ، وكان له اصدقاء واصحاب يخالطهم ، ويحضر مجالسهم ، ويتردد عليهم .

غاب عن انظارهم مدة ، ولم يعد يحضر مجالسهم ، فتفقده الامام (ع) وسأل عنه ، فقالوا له يا ابن رسول الله ، اصابته الحاجة .

فقال : فما يصنع اليوم ؟

---

(١) وسائل الشيعة ج ٢ ص ٥٢٩ .

في البيت يعبد ربه .

ـ فمن اين قوته .

ـ من بعض اخوانه .

فقال (ع) : والله ان الذي يمدّه بالقوت لأكثر عبادة منه .

(٩٣)

الاسكندر وديوجينس[1]

عندما أنتخب الاسكندر المقدوني قائداً للحملة على ايران ، جاء الناس يهنئونه ويباركون له هذا المقام ، الاّ ان ديوجينس الحكيم اليوناني المعروف ، الذي كان يعيش في (كورينت) لم يأت لتهنئته ، مما حمل الاسكندر على ان يذهب اليه بنفسه ، ولّما جاءه وجده مستلقيا تحت اشعة الشمس ، يتمتع بدفء حرارتها ، فعندما رأى ديوجينس عظمة المقدوني وجلاله ، عرفه ، ولكنه لم يعره اهتماماً ، وبقي على حالته من الاسترخاء واللامبالاة ، فسلّم عليه

---

(١) تاريخ علم ـ جورج سارتن ـ ترجمة أحمد آرام ص ٥٢٥ .

الاسكندر ، وقال له : اعندك حاجة[1] .

فقال ديوجينس : لدى حاجة واحدة لا اكثر وهي : انني كنت اتمتع بنور الشمس ، وها انت الآن منعت نورها عني بوقوفك هذا ، تنح قليلا .

تعجب من كان مع الاسكندر لهذا الكلام ، ومن بلاهة ديوجينس في تضييع مثل هذه الفرصة ، وعدم الاستفادة منها ، ولكّن المقدوني وجد نفسه حقيراً مقابل اباء واستغناء ديوجينس ، وبعد ان رجع قال لأصحابه : لو لم اكن الاسكندر لكنت افضّل أن اكون ديوجينس .

(٩٤)

الملك والحكيم[2]

عندما سافر الملك ناصر الدين شاه ـ شاه ايران ـ الى خراسان ، كان أهل كلّ مدينة يمرّ بها يخرجون لاستقباله

---

(١) ديوجينس : (٤١٣ ـ ٣٢٤ ق . م) فيلسوف يوناني ، احتقر الغنى والتقاليد والناس . قضى حياته في برميل . خرج يوما في منتصف النهار وهو يحمل قنديلاً قائلاً : انني ابحث عن رجل . (المنجد)

(٢) ريحانة الادب ج ٢ ص ١٥٧ـ ١٥٨ .

عندما يدخل المدينة ، ويودّعونه ويشيّعونه عندما كان يخرج منها .

وعندما دخل مدينة (سبزوار) خرج اهل المدينة لاستقباله الاّ رجل معروف ، وهو الفيلسوف الملاّهادي السبزواري ، وكان ناصر الدين شاه يتوق الى رؤية الفيلسوف في هذا السفر ، والتحدث معه ، فلّما لم يجده بين المستقبلين صمّم على ان يذهب هو اليه .

فقالوا للملك : ان الحكيم لا يرغب في لقاء الملك او الوزير . . .

فقال ناصر الدين شاه : ان الملك يرغب في لقاء الحيكم .

اخبر الملاهادي بذلك ، وتحدد موعد زيارة ناصر الدين شاه ، وذهب ناصر الدين برفقة احد ندمائه فلّما دخل على الملاّهادي ، وجده يعيش في منزل بسيط لا يشتمل الاّ على اثاث حقير ، وادوات منزلية بسيطة .

قال ناصر الدين شاه : لكلّ نعمة من النعم شكر ، فشكر نعمة العلم هو التدريس والارشاد ، وشكر نعمة المال الاعانة ومساعدة المعوزين ، وشكر نعمة السلطان والملك قضاء حوائج المحتاجين ، فاطلب مني ما شئت انجزه لك .

فقال الحكيم الملّاهادي : ليس لديّ حاجة ولا اريد شيئاً .

ـ سمعت بانك تملك ارضاً زراعية فاخبرني حتى اعفيها من الضرائب .

ـ ان الضرائب المفروضة على مدينة سبزوار محدودة ، لا يمكن ان تنقص ، فاذا خفّفت الضرائب المفروضة على ارضي او اعفيت ارضي منها ، فستدفعها اراضي اليتامى والارامل ، هذا بالاضافة الى ان مخارج الدولة كثيرة ويجب ان تؤمن كلّها ، نحن ندفع هذه الضرائب عن طيب نفس وعن استعداد ورغبة .

فقال ناصر الدين شاه : اريد ان اتناول طعام الغداء في هذا اليوم معك ، وأريد ان آكل من الغذاء الذي تأكله كلّ يوم ، فأرجوا ان تحضر الخوان .

فأمر الملّاهادي بان يُحضروا له طعامه ، فلّما احضر كان طبقاً يحوي اقراصاً من الخبز ، وانـاء من اللبن ، وقليلاً من الملح .

قال الملّاهادي لناصر الدين شاه : مدّ يدك فانه طعام حلال ، لانه نتيجة تعبي ، اذ أنا الذي قمت بزراعته .

فذاق منه ناصر الدين شاه شيئا ، فوجده طعاما خشناً ، لأنه لم يتعوّد على مثله ، فاعتذر عن تناوله الاّ انه اخذ قليلاً من الخبز معه تبركاً وتيمناً به . بعد برهة خرج من بيت الملاّهادي ، وكلّه حيرة وكلّه تعجّب .

(٩٥)

توحيد المفضل[1]

روى المفضل بن عمر ، قال :

كنت ذات يوم بعد العصر ، جالساً في الروضة بين القبر والمنبر ـ اي في مسجد النبي (ص) بين قبره ومنبره ـ وانا افكر فيما خصّ الله به سيدنا محمداً (ص) من الشرف والفضائل ، وما منحه واعطاه وشرّفه به وحباه ، ممّا لا يعرفه الجمهور من الأمّة ، وما جهلوه من فضله ، وعظيم منزلته ، وخطر مرتبته ، واني لكذلك ، اذ اقبل ابن ابي العوجاء ، فجلس بحيث اسمع كلامه ، فلّما استقر له المجلس ، اذا رجل من اصحابه قد جاء ، فجلس اليه ، فتكلم ابن ابي العوجاء ، فقال : لقد بلغ صاحب هذا القبر العزّ بكماله وحاز الشرف بجميع

---

(١) بحار الانوار ـ الطبعة الجديدة ج ٣ ص ٥٧ ـ ٥٩ .

خصاله ، ونال الحظوة في كل احواله ، فقال له صاحبه : انه كان فيلسوفاً ، ادعّى المرتبّة العظمى والمنزلة الكبرى ، وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول ، وضلّت فيها الأحلام ، وغاصت الالباب على طلب علمها في بحار الفكر ، فلّما استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء ، ودخل الناس في دينه أفواجاً ، فقرن اسمه باسم ناموسه ، فصار يهتف به على رؤوس الصوامع في جميع البلدان والمواضع التي انتهت اليها دعوته ، وعلت بها كلمته ، واظهرت فيها حجّته ، براً وبحراً وسهلاً وجبلاً في كلّ يوم وليلة خمسّ مرات ، مرددا في الاذان والاقامة ليتجددّ في كلّ ساعة ذكره لئلا يخمد امره . فقال ابن ابي العوجاء : دع ذكر محمد (ص) ، الذي يمشي به ، ثم ذكر ابتداء الاشياء وزعم ان ذلك باهمال ، لا صنعة فيه ولا تقدير ولا صنع له ولا مدبّر ، بل الاشياء تتكون من ذاتها بلا مدّبر ، وعلى هذا كانت الدنيا لم تزل وما تزال .

قال المفضلّ : فلم أملك نفسي غضباً وحنقاً ، فقلت : يا عدوّ الله الحدت في دين الله ، وانكرت الباري ـ جلّ قدسه ـ الذي خلقك في احسن تقويم ، وصورك في اتّم صورة ، ونقلك في احوالك حتى بلغ بك الى حيث انتهيت ، فلو تفكّرت في نفسك وصدقك

ولطيف حسك ، لوجدت دلائل الربوّبية ، وآثار الصنعة فيك قائمة وشواهده ـ جل وتقدّس ـ في خلقك واضحة ، وبراهينه لك لائحة .

فقال : يا هذا ان كنت من اهل الكلام كلّمناك ، فان ثبتت لك حجة تبعناك ، وان لم تكن منهم ، فلا كلام لك ، وان كنت من اصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا يخاطبنا ، ولا بمثل دليلك يجادلنا ، ولقد سمع من كلامنا اكثر مما سمعت ، فما افحش في خطابنا ، ولا تعدّى في جوابنا ، وانه الحكيم الرزين العاقل الرصين ، لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق ، ويسمع كلامنا ، ويصغي الينا ، ويستغرق حجتنا حتى اذا استفرغنا ما عدنا ، وظنّنا انا قد قطعناه ، ادحض حجتنا ، بكلام يسير ، وخطاب قصير ، يلزمنا به الحجة ، ويقطع العذر ، ولا نستطيع لجوابه ردّا ، فان كنت من اصحابه فخاطبنا بمثل خطابه .

قال المفضل : فخرجت من المسجد محزوناً ، مفكراً فيما بلي به الاسلام وأهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها ، فدخلت على مولاي صلوات الله عليه ، فرآني مفكراً ، فقال : مالك ؟

فأخبرته بما سمعت من الدهريين ، وبما رددت

عليهما ، فقال : لألقين عليك من حكمة الباري ـ جل وعلا وتقدس اسمه ـ في خلق العالم ، والسباع ، والطير والهوام ، وكل ذي روح من الانعام والنبات ومن الشجر المثمر وغير ذات الثمر والحبوب والبقول ، المأكول من ذلك وغير المأكول ، ما يعتبر به المعتبرون ، ويسكن الى معرفته المؤمنون ويتحير فيه الملحدون ، فبكّر عليّ غدا .

قال المفضل : فانصرفت من عنده فرحاً مسروراً ، وطالت عليّ تلك الليلة انتظاراً لما وعدني به ، فلما اصبحت غدوت ، فاستؤذن لي ، فدخلت ، وقمت بين يديه ، فامرني بالجلوس فجلست ، ثم نهض الى حجرة كان يخلو فيها ، فنهضت بنهوضه ، فقال : اتبعني ، فتبعته ، فدخل ودخلت خلفه ، فجلس وجلست بين يديه ، فقال : يا مفضل ، وكأني بك وقد طالت عليك هذه الليلة انتظارا لما وعدتك ؟ فقلت : اجل يا مولاي ، فقال : يا مفضل ، ان الله كان ولا شيء قبله ، وهو باق ولا نهاية له ، فله الحمد على ما ألهمنا ، وله الشكر على ما منحنا ، وقد خصّنا من العلوم بأعلاها، ومن المعالي بأسناها ، واصطفانا على جميع الخلق بعلمه وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه . فقلت : يا مولاي ، اتأذن لي ان اكتب ما تشرحه . وكنت أعدّدت معي ما اكتب فيه . فقال لي : افعل يا مفضل .

استمر الامام (ع) يلقي على المفضل محاضراته ودروسه أربعة أيام ، كانت نتيجتها الكتاب المسمى « بتوحيد المفضّل » الذي يضّم بين دفتيه حكمة الخالق من خلق الكون والكائنات .

(٩٦)

سباق الأبل[1]

كان المسلمون مولعون بسباق الخيل والجمال والرماية ، فلقد كان الاسلام يشجع على تعلم فنون الحرب والمهارة فيها ، حتى ان النبي (ص) كان يشترك احيانا في مثل هذه السباقات ، وهذا افضل تشجيع للشباب المسلمين على تعلّم اصول الحرب وفنونها . حتى ذلك الوقت الذي كان يعمل فيه بهذه السنّة الاسلامية كانت روح الشّهامة والشجاعة محفوظة بين المسلمين .

كان للنبي (ص) ناقة معروفة بالجري لا تسبق ، فظنّ بعض الصحابة السذّاج بأنها قادرة على ان تحوز السبق دائماً ، لارتباطها الشديد بالنبي (ص) . وذات يوم سابق النبي (ص) اعرابياً بناقته وكان الصحابة حاضرين

---

(١) وسائل الشيعة ج ٢ ص ٤٧٢ .

يشاهدون السباق بشغف بالغ واهتمام كبير .

وجاءت نتيجة السباق بخلاف المعهود ، حيث سبقت ناقةُ الاعرابي ناقة النبي (ص) ، ممّا سببّ اكتئاب الصحابة الذين كانوا يعتقدون بأن ناقة النبي (ص) لا يمكن ان تسبق لعلاقتها بالنبي (ص) . فقال لهم رسول الله (ص) : انّها تـرّفعت ، وحق على الله ان لا يترفع شيء الاّ وضعه .

وهكذا فان النبي (ص) بكملته هذه ، قد بيّن للصحابة اشتباههم ، وخطل رأيهم في تقدير نتيجة السباق .

(٩٧)

النصراني العطشان[1]

روى مصادف غلام الامام الصادق (ع) قال : كنت مع الامام الصادق (ع) نطوى الطريق بين مكة والمدينة ، اذ سقط نظر الامام (ع) على رجل متكىء على شجرة ، فقال لي الامام (ع) : مل بنا الى الرجل فأني اخاف ان يكون قد اصابه عطش .

---

(١) وسائل الشيعة ج ٢ ص ٥٠ .

فملت اليه فاذا هو رجل من القراشين ، طويل الشعر ، فسأله الامام (ع) : اعطشان انت ؟

- نعم .

فقال لي الامام (ع) : انزل يا مصادف فاسقه .

فنزلت وسقيته ، ثم ركبت وسرنا ، فقلت : هذا نصراني ، افتصدق الصدقة على النصارى ؟

فقال الامام (ع) : نعم ، اذا كانوا في مثل هذه الحال .

(٩٨)

ضيف الامام علي (ع)[1]

ورد على امير المؤمنين علي (ع) ، ضيفان : اب وابنه ، فقام اليهما ، واكرمهما ، وأجلسهما في صدر مجلسه ، وجلس بين جيديهما ثم أمر بطعام فأحضر ، فأكلا منه ، ثم جاء قنبر بطشت وابريق خشب ومنديل ، وجاء ليصب على يد الرجل ، فوثب امير المؤمنين (ع) فأخذ منه ليصب على يد الرجل فامتنع الرجل ، وقال : يا امير

(١) بحار الانوار - طبعة تبريز - ج ٢ ص ٥٩٨

المؤمنين ، الله يراني وانت تصب على يدي ، قال امير المؤمنين (ع) : اغسل فان الله عز وجل يراك واخوك الذي لا يتميز عنك يخدمك فيزيد بذلك في خدمته في الجنة .

فاستوى الرجل ليغسل يديه فقال له الامام (ع) : اقسمت بعظيم حقي الذي عرفته ، ان تغسل يديك مطمئناً ، كما كنت تغسل لو كان الصابّ على يديك قنبراً ، ففعل الرجل ذلك ، فلما فرغ ناول الامام (ع) الابريق الى ابنه محمد بن الحنفية ، وقال : يا بني ، لو كان هذا الابن حضرني دون ابيه ، لصببت على يده ، ولكن الله عزّ وجلّ يأبى ان يسوي بين ابن وابيه اذا جمعهما مكان ، وقد صبّ الاب على الاب ، فليصب الابن على الابن ، فصبّ محمد بن الحنفية على يد الابن .

روى هذا الحديث الحسن العسكري (ع) ، ولما انتهى منه اضاف قائلاً : فمن اتبّع عليا (ع) على ذلك فهو الشيعي حقاً .

(٩٩)

مرضى الجذام[١]

كان في المدينة عدد من الافراد المصابين بالجذام ، وكانوا بالاضافة الى تألمهم الجسمي يتألمون نفسياً لابتعاد الناس وتنفرهم عنهم . فمرّ عليهم ذات يوم علي بن الحسين (ع) ، وهو راكب حماراً وكانوا يتغدون فدعوه الى الغداء ، فقال : اما لولا اني صائم لفعلت . ثم دعاهم الى منزله لتناول طعام الغداء لليوم التالي ، فلمّا سار الامام الى منزله ، امر بطعام فصنع . ولما حضر الضيوف في اليوم التالي مدّ الخوان واكل الجميع ، واكل الامام (ع) معهم .

(١٠٠)

ابن سيابة[٢]

كان عبد الرحمن بن سيابة فتىً يانعاً عندما توفي أبوه ، وكان موت ابيه يؤلمه من جهة ، والفقر والبطالة

---

(١) الوسائل ج ٢ ص ٤٥٧ .

(٢) سفينة البحار ، ج ٢ ، مادة (عبد) .

يؤذيانه من جهة اخرى .

طرق عليه الباب ذات يوم رجل وكان من رفاق ابيه ، فعزّاه وسلاه ، ثم سأله : هل ترك أبوك شيئا ؟

فقال ـ لا

فدفع الرجل اليه كيساً فيه ألف درهم ، وقال له : احفظها وكل فضلها . ثم عاد الرجل من حيث اتى ، ودخل عبد الرحمن البيت فرحاً مسروراً ، واخبر امه بذلك ، ولما كإن العشاء ، ذهب الى صديق من اصدقاء ابيه ، وطلب منه ان يشتري له بضائع ، فما كان الغد حتى جلس في حانوت يبيع ويشتري . وبمرور الايام رزقه الله خيراً كثيراً ، ودرّت عليه تجارته ربحا وفيرا ، وما ان حلّ موسم الحج حتى صمم على السفر لاداء فريضة الحج ، واخبر امه بتصميمه ، فقالت له : ردّ دراهم فلان عليه أولاً ، ثم هيء نفسك للسفر .

فذهب عبد الرحمن الى الرجل ، ودفع اليه دراهمه ، فظنّ الرجل بأن الدراهم كانت قليلة ، فقال لعبد الرحمن : لعلّك استقللتها فأزيدك .

فأجابه عبد الرحمن : لا ولكن وقع في قلبي الحج ، واحببت ان تكون دراهمك عندك .

وبعد ان سافر الى مكة ، وأدى مناسك الحج ، ذهب الى المدينة ، ودخل على ابي عبد الله (ع) مع من دخل من الناس ، وجلس خلفهم ، فأخذ الناس يسألون الامام (ع) وهو يجيبهم فلّما خف الناس ، أشار الامام (ع) الى عبد الرحمن ، بأن يدنو منه ، فلّما دنا منه .

سأله : الك حاجة ؟

فقال : انا عبد الرحمن بن سيابة .

ـ ما فعل ابوك ؟

ـ هلك .

فلّما سمع الامام (ع) ذلك ، توجع ، وترّحم ، ثم سأله :

ـ اترك شيئا ؟

ـ لا .

ـ فمن اين حججت ؟

فحكى عبد الرحمن للامام (ع) قصة الرجل ، وما ان انتهى من حكايته حتى سأله (ع) : فما فعلت بدراهم الرجل ؟

فقال : رددتها اليه .

فقال له الامام (ع) : قد احسنت ، ثم قال له : الا أوصيك ؟

ـ بلى جعلت فداك .

ـ عليك بصدق الحديث ، واداء الامانة تشرك الناس في اموالهم .

(١٠١)

ضيف القاضي[١]

روي عن ابي عبد الله (ع) قال :

ان رجلا نزل بأمير المؤمنين ، فمكث عنده اياما ، ثم تقدم اليه في خصومة لم يذكرها له ، فقال له امير المؤمنين : اخصم انت ؟

قال : نعم .

قال (ع) : تحوّل عنّا ، فان رسول الله (ص) ، نهى ان يضاف الخصم الاّ ومعه خصمه .

---

(١) وسائل الشيعة ج ٣ ص ٣٩٥ .

(١٠٢)

كلام البقالين[1]

عندما دعا المأمون الامام علي بن موسى الرضا (ع) الى خراسان ، وقلده ولاية العهد بشروط خاصة ، كان اخوه ـ زيد النار ـ في خراسان ايضاً .

كان المأمون آنذاك غاضباً على زيد غضباً شديداً لأنه كان قد قام في المدينة بانقلاب ضده ، الاّ ان سياسته كانت تقتضي ان يحترم الامام الرضا (ع) في اخيه زيد ، وان يصرف النظر عن قتله او حبسه .

كان الامام ذات يوم في مجلس عام ، وحوله اصحابه وجماعته يحدّثهم بحديثه ، ويملأ اسماعهم بنصائحه وحكمه ومواعظه وكان اخوه زيد حاضرا في المجلس أيضا ، وقد جذب انتباه جماعته من اهل المجلس بالحديث الذي كان يمدح فيه نفسه واسرته ويفتخر بهم ، فعندما التفت اليه الامام (ع) وسمع حديثه ، قال له : يا زيد أغرّك قول بقال الكوفة : ان فاطمة احصنت فرجها فحرّم الله ذريتها على النار ، حتى صرت تكرّره على الناس وتحشوا به

---

(١) بحار الانوار ج ١٠ ص ٦٥ .

أسماعهم ، ما هذه الاقوال التي تلقيها عليهم ؟ فوالله : ما ذاك الاّ الحسن والحسين وولد بطنها خاصة . اذا كان الأمر كما تقول ، وان ابناء فاطمة يتمتعون بوضع خاص ، وانهم من السعداء ﷺ على كلّ حال ، فأنت ـ على هذا ـ أفضل وأعز عند الله من موسى بن جعفر ، وانك الرابح والسعيد ، لأنه يطيع الله ويصوم نهاره ويقوم ليله ، وأنت تعصيه ثم تجيئان يوم القيامة سواء ، انّ علي بن الحسين (ع) كان يقول :

« لمحسننا ضعفان من الاجر ، ولمسيئنا ضعفان من العذاب » .

كما صرحّ القرآن بذلك بالنسبة الى ازواج النبي (ص) ، لأنه من عمل منا عملاً صالحاً ، ففي الحقيقة قد عمل عملين ، احدهما انه عمل عملاً صالحاً ، وثانيهما انه احترم النبي (ص) في ذلك ، ومن عمل عملاً سيئاً فكأنما اساء مرّتين ، احدهما انه عمل عملاً سيئاً ، وثانيهما انه لم يحفظ مقام النبي (ص) واحترامه في ذلك .

ثم التفت الأمام (ع) الى الحسن الوشاء ، وكان حاضراً في المجلس ، وقال : يا حسن كيف تقرأون هذه الآية : ﴿ قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح ﴾ .

ـ يـا ابن رسول الله ، بعض يقـرأونها كما نـزلت « انه عمـل غير صـالح » امـا الذّين لا يعتقـدون بأن الله يعـذّب ابناء الانبياء ، فيقرأونها « انه عمـل غير صـالح » . ويقـولن أيضا بان الله اخبر نوحـاً بأنـه ليس ابناً لـك ، واذا كان من نسلك ، كنت انجبته لأجلك .

فقـال الامـام (ع) : كـلا لقـد كـان ابنـه ولكن لمـا عصى الله عـز وجـل ، نفـاه الله عن ابيـه . وقـطع صلتـه المعنـوية بـه ، وقال لـه بأنـه غير صـالـح ، لـذا لا يمكن ان يجمـع مع الصـالحين وكـذا من كان منـا ولم يـطع الله فليس منّا وأنت يا حسن ـ اذا اطعت الله فأنت منّا اهل البيت .

(١٠٣)

الشيخ والصغيران (١)

مرّ الحسن والحسين (ع) على شيخ يتوضأ ، فوجداه لا يحسن الـوضوء ، وكـانا (ع) آنـذاك طفلين صغيـرين ، الّا ان الـواجب الديني يحتّم عليهـما بـأن يـرشـداه ويعلمـاه كيفية الوضوء الصحيح ، ولكن كيف يعلمـان بأنـه لا يتأثـر نفسياً ان هماأخبراه بأنّ وضوءه غير صحيـح ، ولا يوّلـد هذا

---

(١) بحار الانوار ج١ ص ٩٨ .

التوجيه اثرا سيئا في نفسه ، اضافة الى انه ربما اعتبر هذا الارشاد بمثابة تحقير موجه اليه ، فيتمادى في العناد ، ويلحّ في اللجاجة .

فكرّ الطفلان مدّة ، حتى انبثق في ذهنيهما انهما يستطيعان ان يرشداه الى الصوّاب بصورة غير مباشرة . لجئا حينئذ الى التنازع الظاهري فيما بينهما ، فأخذ كل واحد منهما يقول للآخر :

انت لا تحسن الوضوء . وأخيراً ، اتفقا على ان يجعلا الشيخ حكماً بينهما ، فتقدما اليه ، وقالا له : أيها الشيخ كن حكماً بيننا . وافق الشيخ على ذلك ، فتوضأ كلّ منهما والشيخ ينظر ، ثم قالا : أينا يحسن قال : انما تحسنان الوضوء ، ولكنّ الشيخ الجاهل هو الذي لم يكن يحسن الوضوء ، وتعلم منكما[1]

(١٠٤)

وصية سعد[1]

شاع بين المسلمين في حرب احد بأن النبي (ص)

---

(١) شرح ابن ابي الحديد ج ٣ . طبعة بيروت ص ٥٧٤ وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٤ .

قد قتل ، مما صار سبباً في انهزام المسلمين وتفرّق صفوفهم . وعندما علم الكفار بأن النبي (ص) لم يقتل ، وان ما شاع بينهم كان كذباً محضاً اكتفوا بما كسبوا من غنائم ، وبما نالوا من انتصار ، ووّلوا الأدبار .

فقد المسلمون في هذه الحرب كثيراً من رجالهم ، وجرح منهم كثير ، وكان ممن جرح وأثقلته جراحاته فسقط صريعاً ، سعد بن الربيع . في هذا الوقت مرّ مالك بن الدخشم عليه وقال له : أعلمت أن محمدا قتل ؟ فقال سعد : أشهد ان محمداً قد أبلغ رسالة ربه . فقاتل انت عن دينك ، فأن الله حيّ لايموت .

بعد ان وضعت الحرب اوزارها ، أخذ النبي (ص) يتفقد اصحابه واحداً واحدا ، ليعلم أيهم قتل وأيهم جرح ، وأيهم سلم من ويلات الحرب وأذاها ، فقال : ألا من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع أفي الاحياء هو أم في الاموات ؟

فقال رجل من الانصار : انا أنظر يا رسول الله ما فعل . فنظر فوجده جريحا في القتلى وبه رمق فقال له : ان رسول الله (ص) امرني ان انظر في الاحياء انت ام في الاموات .

قال : انا في الأموات ، فأبلغ رسول الله (ص)

مني السلام ، وقل ان سعد بن الربيع يقول : جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته ، وأبلغ قومك السلام عني ، وقل لهم : انّ سعدبن الربيع يقول لكم : لا عذر لكم عند الله ، ان يخلص العدو الى نبّيكم ومنكم عين تطرف . قال مالك : أبرح عنده حتى مات .

(١٠٥)

الدعاء المستجاب[١]

« اللّهم لا تردّني الى جهلي » .

سمعت هذه الجملة من زوجها ـ عمر بن الجموح ـ عندما لبس لامة حربه واتجه ليشترك مع المسلمين ، ولاول مرة ، في معركة احد ، كانت المرة الأولى التي يساهم فيها عمرو بن الجموح بالجهاد مع المسلمين ، لانه كان أعرجاً . وطبقا للآية الكريمة ﴿ **ليس على الاعمى حرج ، ولا على الاعرج حرج ، ولا على المريض حرج** ﴾[٢] فانه كان معذورا من الجهاد ، بالاضافة الى ذلك ، فقد كان له بنون اربعة يشهدون مع النبي (ص) المشاهد ، ولم يكن

(١) شرح ابن ابي الحديد ، ج ٣ ص ٥٦٦ ـ دار الفكر ـ بيروت .
(٢) سورة الفتح ـ آية ١٨ .

يظنّ احد بأن عمرو مع ما هو عليه من العذر الشرعي يحمل سلاحا ويلتحق بجيش المسلمين للاشتراك في هذه المعركة .

لهذا السبب اراد قومه ان يمنعوه فقالوا له : انت رجل اعرج ولا حرج عليك ، وقد ذهب بنوك مع النبي (ص) ، قال : ايذهبون الى الجنة وأجلس انا معكم ؟ ولمّا لم يجد بداً من التخلّص منهم ، ذهب الى النبي (ص) وقال له : يا رسول الله ، انّ قومي يريدون ان يحبسوني عن الجهاد والخروج معك . والله انّي لأرجو ان أطأ بعرجتي هذه في الجنة .

ـ اما انت فقد عذرك الله ، ولا جهاد عليك .

ـ انا أعلم ـ يا رسول الله ـ بأن الجهاد غير واجب عليّ ، ولكنّي مع ذلك أريد الذهاب .

فقال النبي (ص) لقومه : لا عليكم ان تمنعوه ، لعلّ الله يرزقه الشهادة ، فخلّوا عنه .

كان عمروبن الجموح يحارب في الرعيل الاول ، وهو يعرج في مشيته ، وكان يقول : (انا والله مشتاق الى الجنة) وكان ابنه يعدو في اثره حتى قتلا ، بعد ان حاربا شوقاً بالموت وزهداً في الحياة ، وبعد ان خمدت نار الحرب

الشؤوم ، عادت النساء وكانت عائشة مع من عاد منهن ، وفي الطريق وقع نظرها على هند زوجة عمرو بن الجموح ، وهي تقود بعيراً متجهة جهة المدينة ، فسألتها : عندك الخبر فما وراءك ؟

ـ خير ، أمّا رسول الله فصالح ، وكل مصيبة بعده جلل ، ردّ الله الذين كفروا بغيظهم .

ـ من هؤلاء القتلى ؟

ـ اخي وابني وزوجي .

ـ الى اين تذهبين بهم .

ـ الى المدينة أقبرهم .

قامت هند ، وقادت بعيرها نحو المدينة ، كان البعير يمشي متثاقلا نحو المدينة ، وأخيرا برك ، فقالت عائشة : برك بعيرك لثقل ما حمل .

ـ لا ، ليس لهذا السبب لانه قوي جداً ولربما حمل ما يحمله البعيران ، يجب ان يكون هناك سبب آخر ، وزجرته فقام ، فلّما وجهّت به الى المدينة ، برك مرة اخرى ، فلّما وجهّته راجعة الى احد أسرع في مشيه . فما رأت (هند) هذا الوضع العجيب من بعيرها ، رجعت الى النبي (ص) وقالت له : يا رسول الله ، اني وضعت

جسد اخي وابني وزوجي على البعير ، حتى اقبرهم في المدينة ولكن هذا الحيوان لا يقبل بالمسير الى المدينة ، ويتجه بسرعة الى احد .

فقال النبي (ص) : انّ الجمل لمأمور .

هل قال عمرو . زوجك شيئا ـ عندما توجه الى احد .

ـ نعم يا رسول الله ، انه لما توجه الى احد ، استقبل القبلة ، ثم قال : اللّهم لا تردّني الى أهلي وارزقني الشهادة .

ـ ولذلك لا يمضي الجمل نحو المدينة ، ان الله سبحانه وتعالى لا يريد ان يرجع هذا الجسد الى المدينة ، ثم قال (ص) : انّ منكم يا معشر المسلمين من لو أقسم على الله لاستجاب له ومنهم زوجك عمرو بن الجموح .

بعد ذلك ، امر النبي (ص) بدفنهم في احد فدفنوا ، ثم قال هند : قد ترافقوا في الجنة جميعا عمرو بن الجموح بعلك ، وخلاد ابنك ، وعبد الله اخوك .

ـ يا رسول الله ، فادع الله لي عسى ان يجعلني معهم .

(١٠٦)

رد الجوار[١]

روى ابن اسحق ، ان عثمان بن مضعون أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا ، وهاجر الى الحبشة هو وابنه المسمى « بالسائب » مع جماعة من المسلمين ، فبلغهم وهم بالحبشة ان قريشا قد أسلمت فعادوا فلما دنوا من مكة ، علموا بأن ما بلغهم من اسلام قريش كان كاذبا ، فثقل عليهم ان يرجعوا ، وتخوّفوا ان يدخلوا مكة . ولكن عثمان بن مضعون قدم بجوار الوليد بن المغيرة ، ولكنه لما رأى ما يلقى رسول الله (ص) واصحابه من الاذى ، وهو يغدو ويروح بأمان الوليد بن المغيرة ، قال : والله انّ غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من اهل الشرك ، واصحابي وأهل بيتي يلقون من البلاء والاذى في الله ما لا يصيبني ، لنقص شديد في نفسي . فمضى الى الوليد بن المغيرة ، فقال : يا أبا عبد شمس ، وفيت ذمتك ، فلقد كنت في جوارك ، واحببت ان اخرج الى رسول الله (ص) فلي به وباصحابه اسوة .

---

(١) أسد الغابة ج ٣ ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ وسيرة ابن هشام ، ج١ ص ٣٦٤ ـ ٣٧٠ .

فقـال الـوليـد : فـلعلك يـا ابـن اخي أوذيـت او انتهكت .

قـال : لا ، ولكن أرضي بجـوار الله ، ولا اريـد ان استجير بغيره .

فقال الوليد : فانـطلق الى المسجد واردد عـليّ جواري علانية كما أجرتك علانية .

خرج عثمان بن مضعون والوليـد حتى أتيا المسجـد ، فقـال الوليـد : هذا عثمـان بن مضعون قـد جاء ليـرّدّ عـليّ جـواري ، فقال عثمـان بن مضعون ، صـدق لقد وجـدتـه وفيـا ، كريم الجـوار ، وقد احببت ان لا استجـير بغـير الله عـزّ وجل ، وقـد رددت عليه جـواره ، ثم انصـرف عثمـان بن مضعـون ، وذهب وجلس في مجلس قـريش وكـان لبيـد ابن ابي ربيعة الشاعر المعروف جالسا في مجلسهم .

فقـال عثمان : صـدقت ، ولمـا قـال لبيـد : ألاّ كـلّ شيء ما خلا الله باطل » .

فقال عثمان : صـدقت ، ولما قـال لبيد : وكـلّ نعيم لا محالة زائل . قال عثمان : كذبت ، فالتفت القوم اليه ، فقـالوا للبيـد : اعد علينـا ، فـأعـاد لبيـد ، واعـاد عثمـان تكـذيبه مـرة وتصديقـه مرة . وكـان عثمـان يعني بقـولـه :

كـذبت ، ان نعيم الجنة لا يـزول .ـ ثم قال لبيـد : والله يا معشر قـريش ما كـانت مجالسكم هكـذا ، فقام سفيـه منهم الى عثمان بن مضعون فلطم عينه فاصفـرت ، فقال لـه من حـوله : والله يـا عثمان لقـد كنت في ذمـة منيعـة ، وكـانت عينك غنية عمّا لقيت .

فـقـال عثـمـان : جـوار الله آمن وأعـزّ ، وعـيني الصحيحـة فقيرة الى مـا لقيت أختها ، ولي بـرسول (ص) وبمن آمن معه أسوة .

(١٠٧)

الهتاف الأول[1]

لمّا سمع أبو ذر بظهور رجل في مكـة يدعـو الناس الى دين جـديد ، حـاول ان يطلع عـلى الحقيقة الـواقعة ، لأنـه كـان ميالا الى معـرفة كنـه الاشياء وحقـائق الامـور ، فقـال لأخيه :

إركب الى هـذا الـوادي ـ اي مكـة ـ فـاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم انه نبي ، يـأتيه الخـير من السماء ، واسمـع من قـولـه ثم ائتني . فـانـطلق الاخ ، حتى قـدم

(١) أسد الغابة ص ٥ ص ١٨٧ .

وسمع من قوله ، ثم رجع الى ابي ذ ر ، فقال له : رأيته يأمر بمكارم الاخلاق ، وسمعت منه كلاما ما هو بالشعر .

فقال : ما شفيتني مما اردت .

فتزّود وحمل قربة له فيها ماء ، حتى قدم مكة ، فأتى المسجد فالتمس النبي (ص) وهو لا يعرفه ، كره ان يسأل عنه حتى ادركه بعض الليل ، فاضطجع هناك ، فمرّ به عليّ فعرفه انه غريب ، فلما رآه أبو ذر تبعه ، ولكن لم يسأل احدهما صاحبه عن شيء . وبدون ان يعلم ابو ذر من هو ذ لك العابر ، رجع الى مكانه .

وفي اليوم الثاني، احتمل قربته وزاده الى المسجد وظلّ ذلك اليوم ولا يراه النبي (ص) ، حتى امسى فعاد الى مضجعه ، فمرّ به الامام علي (ع) فقال له : اما آن للرجل ان يعلم منزله ، فأقامه وذهب به الى بيته من دون ان يسأل احدهما الآخر عن شيء ، حتى كان اليوم الثالث ، فقال له علي : الا تحدثني ما الذي اقدمك ؟

قال : ان اعطيتني عهدا وميثاقا لترشدني فعلت . فأعطاه علي ميثاقا علىٰ ذلك، فقص عليه سبب مجيئه ، فقال له علي : اذا أصبح الصباح فاتبعني ، فلما اصبح الصباح ، ذهب الى النبي (ص) ومعه ابو ذر ، فلما سمع ابو ذر كلام النبي (ص) اسلم من وقته .

فقال له النبي (ص) : ارجع الى قومك فأخبرهم حتى يأتيك امري .

قال : والذي نفسي بيده ، لأصرخنّ بها بين ظهرانيهم ، فخرج الى المسجد الحرام فنادى بأعلى صوته : اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله .

فقام القوم اليه فضربوه حتى أضجعوه ، فجاء العبّاس فأكب عليه ، وقال : ويلكم الستم تعلمون انه من غفار ، وانها طريق تجارتكم الى الشام ، فانقذه منهم .

رجع ابو ذر بعد ذلك الى قومه ، وأخذ يدعوهم الى الاسلام ويعلمهم القرآن .

كان ابو ذر حتى اخريات عمره يقطن المدينة ، ولكنه نفي الى (الربذة) في زمن عثمان حتى مات هناك وحده ، فصحت كلمة النبي (ص) في حقه ، حيث قال (ص) : (يرحم الله ابا ذر يعيش وحده ، ويموت وحده ، ويحشر وحده) .

(١٠٨)

مع القائد رستم[١]

عسكرت جيوش المسلمين قرب القادسية بقيادة سعد بن ابي وقاص استعداد للحرب مع الفرس ، وكانت جيوش الفرس هي الاخرى قد نزلت بالقرب منها ، بقيادة رستم .

وقبل ان تندلع الحرب بين الطرفين ، ارسل رستم الى زهرة بن عبد الله وكان على مقدمة جيش المسلمين ، يطلب حضوره .

وانما طلب رستم حضور زهرة لأجل ان يصالحه ويجعل له جعلاً على ان ينصرفوا عنه من غير ان يصرّح له بذلك ، بل قال له : كنتم جيراننا وكنا نحسن اليكم ونحفظكم .

فقال له زهرة : ليس امرنا اولئك ، انّا لم نأتكم لطلب الدنيا ، انما طلبتنا وهمّتنا الآخرة ، وقد كنّا كما ذكرت الى ان بعث الله فينا رسولا ، فدعانا الى ربّه ،

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٣١٩ ـ ٣٢١ وقائع العام الرابع عشر للهجرة .

فأجبناه ، فقال لرسوله : انّي سلّطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني ، فأنا منتقم بهم منه واجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به ، وهو دين الحق لا يرغب عنه احد إلّا ذلّ ، ولا يعتصم به احد إلّا عزّ .

فقال له رستم : ما هو ؟ قال : اما عموده الذي لا يصلح الا به ، فشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله .

قال : وأي شيء أيضا ؟ قال : واخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله ، والناس بنو آدم وحوّاء اخوة لأب وام .

قال رستم : أرأيت ان أجبت الى هذا ومعي قومي كيف يكون امركم ، اترجعون ؟

فأجاب زهرة : اي والله .

فقال رستم : صدقتني ، لكن أهل فارس منذ ولي اردشير ، لم يدعوا احدا يخرج من عمله من السفلة وكانوا يقولون اذا خرجوا من أعمالهم : تعدّوا طورهم ، وعادوا أشرافهم .

فقال زهرة : نحن خير الناس للناس ، فلا نستطيع ان نكون كما تقولون ، بل نطيع الله في السفلة ولا يضرّنا

من عصى الله فينا .

ولما انصرف دعا رستم رجال فارس ، فذاكرهم في الامر ، فاقترحوا عليه ، ان يتذاكر مع سعد : ان ابعث الينا رجلا نكلّمه ويكلّمنا . فدعا سعد جماعة ليرسلهم اليهم ، فقال له ربعي بن عامر ، متى نأتهم جميعا ، يروا انّا قد احتفلنا بهم ، فلا تزدهم على رجل .

فأرسله وحده ، فسار اليهم ، فحبسوه على القنطرة ، وأعلم رستم بمجيئه ، فاظهر زينته ، وجلس على سرير من ذهب ، وفرش السجاجيد والنمارق والوسائد المسوجة بالذهب ، وأقبل ربعي على فرسه وسيفه في عمده ورمحه مشدود بعصب .

فلما انتهى الى السجاجيد ، قيل له : انزل ، فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين شقهما وأدخل الحبل فيهما ، فلم ينهوه وأروه التهاون ، فأخذ عباءة بعيره ، فتدرعها وشدها على وسطه .

فقالوا له : ضع سلاحك . فقال : لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم ، أنتم دعوتموني ، فأخبروا رستم فقال ائذنوا له . فاقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه ، فلم يدع لهم نمرقاً ولا بساطا الا أفسده ، فلّما دنا من رستم

جلس على الأرض ، وركز رمحه على البسط ، فقيل له : ما حملك على هذا ؟ قال : انّا لا نستحب القعود على زينتكم ، فقال له ترجمان رستم : ما جاء بكم ؟ قال : الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، فارسلنا بدينه الى خلقه ، فمن قبله قبلنا منه ، ورجعنا عنه ، وتركناه وارضه دوننا ، ومن ابى قتلناه ؟ حتى نفضي الى الجنة الظفر .

فقال رستم : قد سمعنا قولكم ، فهل لكم ان تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه ؟ قال : نعم ، وان مماسنّ لنا رسول الله (ص) ان لا نمكن الأعداء اكثر من ثلاث ، فنحن مترددون عنكم ثلاثا ، فانظر في امرك واختر واحدة من ثلاث بعد الاجل : اما الاسلام وندعك وأرضك ، او الجزية فنقبل ونكف عنك وان احتجت الينا نصرناك ، او المنابذة في اليوم الرابع الّا ان تبدأ بنا ، انا كفيل بذلك عن اصحابي .

قال : اسيدهم انت ؟ قال ٠ لا ، ولكن المسلمين كالجسد الواحد ، بعضهم من بعض يجبر ادناهم على أعلاهم .

فخلا رستم برؤساء قومه فقال : هل رأيتم كلاماً قطّ

أعـزّ وأوضح من كـلام هذا الـرجل ؟ فقـالـوا معـاذ الله ان نميـل الى دين هذا الكلب . امـا تـرى الى ثيـابـه ؟ فقـال : ويحكم : لا تنـظروا الى الثيـاب ولكن انـظروا الى الـرأي والكلام والسيرة .

الا ان كلماته لم تجد اذنا صاغية من اصحابه ، فلقد كـانوا من الغـرور بحيث ما استـطاعوا ان يـدركوا الحقـائق الواضحة .

فلما رأى رستم مـوقف اصحابـه . وأنهم لم يستجيبـوا له ولم يوافقوا على رأيـه وبعد ان فشلت المبـاحثات مـع ممثي المسلمـين من جهة ومـع زعماء جيشـه من جهة ، نـزل عنـد رغبة اصحابه ، فاستعـدّ للحرب التي انـدحر فيهـا اندحـاراً شـديدا لم يشهـد التـاريـخ نـظيـره . وكـان من نتيجـة تلك الحرب ان فقد رستم حياته وذلك لتأثره بآراء الآخرين .

(١٠٩)

الدعاء في الليل[١]

عن عـائشة ، انها قـالت : لمّا كـانت ليلتي التي يبيت

---

(١) مسند أحمد ج ٦ ص ٢٢١ .

النبي (ص) فيها عندي ، رأيته انقلب فوضع رداءه ، وخلع نعليه ، فوضعهما عند رجليه ، وبسط طرف ازاره على فراشه فاضطجع ، فلم يلبث الا ريثما ظن أنيّ قد رقدت ؛ فأخذ رداءه رويداً ، وانتعل رويداً وفتح الباب فخرج ، ثم أجافه (أغلقه) رويداً فأختمرت ، وتقنعت ازاري ، ثم انطلقت على اثره حتى جاء البقيع . فقام ، فأطال القيام ثم رجع يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف فانحرفت فأسرع فأسرعت فسبقته فدخلت البيت فليس إلا ان اضطجعت فدخل .

فقال : ما لك يا عائشة ، حشياء(١) ؟

قالت : قلت : لا شيء يا رسول الله .

قال : لتخبريني او ليخبرني اللطيف الخبير .

قالت : فأخبرته بما جرى .

قال (ص) : فأنت السواد الذي رأيت أمامي .

ـ نعم .

قالت : فلهزني في ظهري لهزة فأوجعتني (اي

---

(٢) الحشي : المصاب بالربو ، وقوله حشياء أي انها تتنفس تنفس المصاب بالربو .

ضربني بنصف)

ثم قال : أظننت ان يحيف عليك الله ورسوله .

قلت : فقلت : مهما يكتم الناس يعلمه الله .

قال (ص) : نعم ، فانّ جبريل عليه السلام أتاني حين رأيت ، فناداني فاخفاه منك ، فأجبته وانا خفية منك ولم يكن ليدخل عليك وقد وضعت ثيابك ، وظننت انك قد رقدت ، فكرهت ان اوقظك ، وخشيت ان تستوحشي فقال : انّ ربك جلّ وعز يأمرك ان تأتي اهل البقيع فتستغفري لهم .

فقالت عائشة : فقلت له : كيف اقول يا رسول الله ، اذا اردت .

فقال (ص) : قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وانّا ان شاء الله للاحقون .

(١١٠)

منهج العمل[١]

بعد مقتل عثمان بن عفّان ، بايع الناس الامام عليا (ع) على الخلافة ، فلما بويع عليه السلام صعد المنبر في اليوم الثاني من البيعة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر محمدا فصلّى عليه ، ثم ذكر نعمة الله على أهل الاسلام ، ثم ذكر الدنيا فزّهدهم فيها ، وذكر الآخرة فرّغبهم اليها ، ثم قال : اما بعد ، فانه لما قبض رسول الله (ص) استخلف الناس ابا بكر ، ثم استخلف ابو بكر عمراً فعمل بطريقه ، ثم جعلها شورى بين ستة ، فافضى الأمر منهم الى عثمان ، فعمل ما انكرتم ، فعرفتم ، ثم حصر وقتل ، ثم جئتموني طائعين ، فطلبتم الي وانّما انا رجل منكم ، لي ما لكم وعلّي ما عليكم وقد فتح الله الباب بينكم وبين اهل القبلة ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، ولا يحمل هذا الأمر الا أهل الصبر والبصر والعلم بمواقع الأمر ، واني حاملكم على منهج نبيّكم (ص) ، ومنفذ فيكم ما امرت به ، ان استقمتم لي وبالله

---

(١) نهج البلاغة ـ شرح إبن ابي الحديد ـ دار الفكر ـ بيروت ج ٢ ص ٢٧١ ـ ٢٧٤ .

المستعان ، الا ان موضعي من رسول الله (ص) بعد وفاته كموضعي من ايام حياته لما تؤمرون به ، وقفوا عندما تنهون عنه ولا تعجلوا في أمر حتى نبيّنه لكم ، فانّ لنا عن كل امر تنكرون عذرا ، الا وان الله عالم من فوق سمائه وعرشه انّي كنت كارها للولاية على امة محمد ، حتى اجتمع رأيكم على ذلك لأني سمعت رسول الله (ص) يقول « أيّما وال ولي الأمر من بعدي ، اقيم على حد الصراط ، ونشرت الملائكة صحيفته ، فان كان عادلاً ، انجاه الله بعدله ، وان كان جائراً انتفض به الصراط حتى تتزايل مفاصله ، ثم يهوي الى النار ، فيكون اولّ ما يتقيها به انفه وحرّ وجهه » ولكني لّما اجتمع رأيكم لم يسعني تركككم .

ثم التفت عليه السلام يميناً وشمالاً ، فقال : الا لا يقولون رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا ، فاتخذوا العفار ، وفجروا الانهار ، وركبوا الخيول الفارهة ، واتخذوا الوصائف الرقفة فصار ذلك عليهم عارا وشنارا ، اذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه ، وامرتهم الى حقوقهم التي يعلمون ، فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون : حرمنا ابن ابي طالب حقوقنا ، الا وايّما رجل من المهاجرين والانصار من اصحاب رسول الله (ص) ، يرى ان الفضل له علي

من سواه لصحبته ، فان الفضل النيّر غداً عند الله وثوابه واجره على الله ، وايّما رجل استجاب لله وللّرسول فصدّق ملّتنا ، ودخل في ديننا ، واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده ، فأنتم عباد الله ، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوّية لا فضل فيه لأحد على احد ، وللمتقين عند الله غداً احسن الجزاء وافضل الثواب ، ولم يجعل الله الدنيا للمتقين اجراً ولا ثواباً ، وما عند الله خير للأبرار ، واذا كان غد ان شاء الله ، فاغدوا علينا ، فان عندنا مالاً نقسمه فيكم ، ولا يتخلفن احد منكم ، عربي ولا عجمي كان اهلاً للعطاء او لم يكن الاحضر ، اذا كان مسلماً حراً . اقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم .

فلما كان من الغد ، غدا الناس لقبض المال ، فقال (ع) لكاتبه : اعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير ، فقال سهل بن حنيف : يا امير المؤمنين هذا غلامي بالامس ، وقد أعتقته اليوم ، فقال نعطيه كما نعطيك ، فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير ، ولم يفضّل احداً على احد ، وتخلف عن هذا القسم يومئذ طلحة والزبير وعبد الله بن عمرو (سعيد بن العاص) ومروان بن الحكم ، ورجال من قريش وغيرهم .

وبينما كان الناس مجتمعين في المسجد في اليوم

الثاني ، اذ طلع الزبير وطلحة فجلسا ناحية عن علي (ع) ثم دخل مروان وسعيد وعبد الله بن الزبير ، فجلسوا اليهما ، ثم جاء قوم من قريش فانضموا اليهم ، فتحدّثوا نجيّاً ساعة ثم قام الوليد بن عقبة بن ابي معيط ، فجاء الى علي (ع) فقال : يا ابا الحسن انك قد وترتنا جميعاً ، اما انا فقتلت ابي يوم بدر صبراً ، وخذلت اخي يوم الدار بالأمس ، واما سعيد فقتلت اباه يوم بدر في الحرب ، واما مروان فسّخفت اباه عند عثمان اذ ضمّه اليه ، ونحن اخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف ، ونحن نبايعك اليوم على ان تضع عنّا ما اصبناه من المال في ايام عثمان ، وان تقتل قتلته ، وانّا ان خفناك تركناك ، والتحقنا بالشام .

فقال علي (ع) : اما ما ذكرتم من وتري ايّاكم ، فالحق وتركم ، واما وضعي عنكم ما اصبتم ، فليس لي ان اضع حق الله عنك ولا عن غيركم ، واما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم امس ولكن لكم عليّ ان خفتموني ان اومنكم ، وان خفتكم ان اسيركم .

فقام الوليد الى اصحابه ، فحدّثهم وافترقوا على اظهار العداوة ، واشاعة الخلاف .

فقام بعض من اصحاب علي (ع) ودخلوا عليه فقالوا : يا امير المؤمنين انظر في امرك ، وعاتب قومك هذا

الحيّ من قريش فانهم قد نقضوا عهدك واخلفوا وعدك وقد دعونا في السرّ الى رفضك هداك الله لرشدك ، وذاك لأنهم كرهوا الأسوة ، وفقدوا الأثرة ، ولما آسيت بينهم وبين الأعاجم انكروا واستشاروا عدوّك وعظموه واظهروا الطلب بدم عثمان ، فرقةً للجماعة ، وتألفاً لأهل الضلالة ، فرأيك .

فخرج علي (ع) فدخل المسجد ، وصعد المنبر مرتديا طاقا ، ومؤتزرا ببرد قطري متقلدا سيفا ، متوكأ على قوس فقال :

اما بعد ، فانا نحمد الله ربنا ، والهنا وولينا وولىّ النعم علينا ، الذي اصبحت نعمه علينا ظاهرة وباطنة ، امتناناً منه بغير حول منا ولا قوة ليبلونا ، انشكر ام نكفر ، فمن شكر زاده ، ومن كفر عذّبه فأفضل الناس عند الله منزلة ، واقربهم من الله وسيلة واطوعهم لأمره ، وأعملهم بطاعته ، وأتبعهم لسنة رسوله ، وأحياهم لكتابه ، ليس لأحد عندنا فضل الّا بطاعة الله وطاعة الرسول ، هذا كتاب الله بين اظهرنا وعهد رسول الله وسيرته فينا ، لا يجهل ذلك الا جاهل عاند عن الحق منكر ، قال الله تعالى :

﴿ يا أيها الناس انّا خلقناكم من ذكر وأنثى

وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

بعد هذه الخطبة اتضح للناس بأن الامام علياً (ع) جادّ في منهج عمله ، فالتحق واستعد لحربه من استعد ، أمثال طلحة والزبير ومروان ، واختار فريق ثالث العزلة والانزواء .

(١١١)

أراقد أم رامق[١] ؟

روى حبة بن جوين بن علي بن فهم بن مالك ، أبو قدامة العرين الكوفي ، قال : بينا انا ونوف نائمين في رحبة القصر (قصر الامارة في الكوفة) ، اذ نحن بأمير المؤمنين (ع) في بقية من الليل واضعاً يده على الحائط شبيه الواله ، وهو يقول : « انّ في خلق السماوت والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » . « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوت والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار » ، « ربّنا انك من تدخل النار

---

(١) بحار الانوار ، مجلد ٩ طبعة تبريز ص ٥٨٩ .

فقد أخزيته وما للظالمين من انصار » ، « ربّنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ، ربّنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنّا سيئاتنا ، وتوّفنا مع الابرار » ، « ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة ، انك لا تخلف الميعاد » .

قال حبة : ثم دنا الامام علي (ع) مني ، وقال لي : أراقد أنت يا حبّة ام رامق ؟ قلت : رامق يا أمير المؤمنين . انت أمير المؤمنين ، تعمل هذا فكيف نحن ؟ أرخى الامام (ع) عينيه وبكى ، ثم قال لي : يا حبة ، انّ لله موقفاً ولنا بين يديه موقفاً ، لا يخفى عليه شيء من أعمالنا ، يا حبة انّ الله أقرب اليّ واليك من حبل الوريد ، يا حبة انه لا يحجبني وأيّاك عن الله شيء .

ثم توّجه (ع) الى نوف وقال : أراقد أنت يا نوف ؟

قال : لا يا أمير المؤمنين ، ما انا براقد وقد أطلت بكائي هذه الليلة .

فقال (ع) : يا نوف ان طال بكاؤك في هذه الليلة مخافة من الله تعالى ، قرّت عينك غداً بين يدي الله عز وجل . يا نوف : انه ليس من قطرة قطرت من عين رجل

من خشية الله الا أطفأت بحاراً من النيران ، انه ليس من رجل أعظم منزلة عند الله تعالى من رجل بكى من خشية الله ، واحبّ في الله وأبغض في الله . يا نوف : انه من أحب في الله لم يستأثر على محبّته ، ومن أبغض في الله لم ينل ببغضه الا خيراً .

يقول حبة : ثم وعظنا الأمام وأنذرنا ، وواصل أدراجه يمشي ويقول : ليت شعري في غفلاتي ، أمعرض أنت عني أم ناظر اليّ ، وليت شعري في طول منامي ، وقلّة شكري في نعمك عليّ ما حالي .

قال حبة ونوف : وما زال الامام (ع) على هذه الحالة حتى طلع الفجر .

قتل الامام علي (ع)[1]

(١١٢)

لّما رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق قد اشتد وخاف الهلاك ، احتال بمكره حيلته وأوقف الحرب .

كانت حيلته بأن شاور معاوية في رفع المصاحف ،

---

(١) الكامل في التاريخ ، ص ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ج ٣ .

فرفعوها بالرماح ، وقالوا ، هذا حكم كتاب الله عزّ وجل بيننا وبينكم . فلّما رآها الناس ، قال بعضهم ممن ينخدع بظواهر الأمور : نجيب الى كتاب الله .

فقال لهم علي (ع) : عباد الله ، امضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدّوكم ، فان معاوية وعمراً وابن أبي معيط وحبيباً وابن أبي سرح والضحّاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، انا أعرف بهم منكم ، ويحكم والله ما رفعوها الا ذريعةً ووهناً ومكيدة : فقالوا له : لا يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فنأبى قبوله .

لم تجد النصيحة فيهم ايّ فائدة ، حيث قال له بعضهم : يا علي أوجب الى كتاب الله عزّ وجل ، اذ دعيت اليه والا دفعناك برمتك الى القوم ، او نفعل بك ما فعلنا بابن عفان !

فرح معاوية وعمرو بن العاص للنتيجة التي أسفرت عنها حيلتهم ، حيث بذروا بذور الشقاق في صفوف علي (ع) ، وظلت آثارها الخطرة محيطة بالدولة الاسلامية وبالمسلمين ، ومن ذلك الوقت تشكلت فرقة الخوارج حيث خرجوا على الامام علي (ع) في هذه الحرب المذكورة ورضوا بحكم الحكمين .

وقد عيّن عمرو بن العاص ممثلاً لمعاوية ، واراد

الامام علي (ع) ان يعيّن ابن عباس ممثلاً عنه ، وكان حريفاً لعمرو ، ولكن الخوارج لم يرضوا به ، بل قالوا : رضينا بأبي موسى الاشعري لأنا لا نريد الا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء .

وانتهى حكم الحكمين بشكل فقد فيه حديثه وأصالته ، وأسفرت النتيجة بتوقف الحرب ، وهذا كلّ ما كان يبغيه معاوية وعمرو من وراء حيلتهما ، وعرض الحكم على الخوارج ، فقال بعضهم : تحكمون الرجال في أمر الله ولا حكم الا لله .

فقال علي (ع) : كلمة حق يراد بها باطل ، نعم انه لا حكم الا لله ، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة الا لله ، وانه لا بدّ للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في امرته المؤمن ويستمتع فيه الكافر ويبلغ الله فيه الأجل ، ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو ، وتأمن به السبل ، ويؤخذ به للضعيف من القوي ، حتى يستخرج بر ويستراح من فاجر[1] .

ومن هذه الناحية ، فقد أعتبر الخوارج أنفسهم مذنبين لأنهم حكموا غير الله ، فتابوا الى الله بعد ذلك ،

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبة (٤٠)

وطلبوا الى الامام علي (ع) ان يتوب، فكان جوابه لهم بأن متاركته والرجوع الى الحكم كان اشتباهاً، وكنتم أنتم المسؤولون عن هذا الاشتباه، واما عدم جواز الحكم مطلقاً فليس بصحيح. بهذا السّبب كفرّ الخوارج الامام علياً (ع)، واعتبروه خارجاً عن الدين ولكنه (ع) لم يكن يتعرض لهم حتى مع تكفيرهم ايّاه، فكان يؤدي لهم حقوقهم من بيت المال، ولم يكن يتعرض لعائدهم، فلّما ثاروا عليه تحت عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نكل بهم شرّ تنكيل، وانتصر عليهم في حرب النهروان.

ولّما كان ظاهرهم مليحاً، حيث كانت علامات السجود ظاهرة على جباههم، وكانوا يتلون القرآن كثيراً ـ فقد كان الصراع معهم، وكانت مبارزتهم أمراً صعباً، ولهذا كان الامام علي (ع) يفتخر بمبارزته معهم ويعتبرها من الاعمال المهمة، حيث قال: اذ فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترىء عليها غيري بعد ان ماج غيّها واشتد كلبها[1].

قضى الامام علي (ع) على الخوارج في حرب النهروان قضاء تاماً، ولم يبق منهم بعد هذه الحرب إلا زمرة قليلة وجدت طريقها الى الفرار.

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبة (٩١).

بعد انتصار علي (ع) على الخوارج في حرب النهروان وتشتتهم ، اجتمع نفر منهم بمكة وكانوا ثلاثة فتذاكروا امر المسلمين فعابوهم ، وعابوا اعمالهم عليهم ، وذكروا أهل النهروان ، وترحموا عليهم وقال بعضهم لبعض ، فلو اشترينا أنفسنا لله عزّ وجلّ فأتينا أئمة الضلال وطلبنا غرّتهم ، فأرحنا منهم العباد والبلاد ، وثأرنا لأخواننا الشهداء بالنهروان ، فتعاقدوا على ذلك عند انقضاء الحج ، فقال عبد الرحمن بن ملجم : انا اكفيكم علي ابن ابي طالب . فتعاقدوا وتوافقوا على الوفاء ، على ان لا يخذل واحد منهم عن صاحبه الذي يتوجه اليه ولا عن قتله على ان يكون في الليلة التاسعة عشرة اي في الليلة التي قتل فيها ابن ملجم أمير المؤمنين علياً (ع) أما الرجلان الآخران فهما البرك بن عبد الله التميمي وهو صاحب معاوية ، والآخر عمرو بن بكر التميمي وهو صاحب عمرو بن العاص[1] .

أما معاوية فقد نجا من يد صاحبه بصورة من الصور ، وأما عمرو بن العاص فقد مرض في تلك الليلة ، فاستخلف رجلا يصلي بالناس يقال له خارجة ، فخرج للصلاة ، فشدّ عليه عمر بن بكر فضربة بسيفه

---

(١) مقاتل الطالبيين ـ الطبعة القدمية ص ١١ .

فكانت ضربته سببا في موته .

أما عبد الرحمن ، فانه قدم الكوفة ولقي فيها اصحابه ، وكتمهم أمره مخافة ان ينتشر منه شيء ثم أنه زار رجلاً من أصحابه ذات يوم ، فصادف عنده قطام بنت الاحضر بن شجنة ، من تيم الرباب . وكان علي (ع) قد قتل أباها وأخاها بالنهروان ، وكانت من أجمل نساء أهل زمانها ، فلما رآها ابن ملجم شغف بها ، واشتد اعجابه وهيامه بها فخبر خبرها ، فخطبها ، فقالت له : ما الذي تسمي لي من الصداق ، وقال احد الشعراء :

ولم ار مهرا ساقه ذو سماحة
كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة
وقتل علي بالحسام المصمم
ولا مهر اغلى من علي وان علا
ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

فقال لها : احتكمي ما بدا لك . فقالت : انا محتكمة عليك ثلاثة آلاف درهم ، ووصيفاً ، وخادماً ، وقتل علي بن ابي طالب ، فقال لها : لك جميع ما سألت ، واما قتل علي فأنيّ لي بذلك . قالت : تلتمس غرته فان انت قتلته شفيت نفسي ، وهنأك العيش معي ، وان قتلت

فما عند الله خير لك من الدنيا فقال لها : اما والله ما أقدمني هذا المصر ، وقد كنت هارباً منه لا آمن مع أهله الا ما سألتني من قتل علي فلك ما سألت . قالت له : فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على ذلك ويقوّيك ، ثم بعثت الى وردان بن مجالد بن تيم الرباب فخبرته بالخبر ، وسألته معونة ابن ملجم فتحمل ذلك لها .

ثم ذهب ابن ملجم الى رجل من أشجع الرجال يقال له شبيب بن بجرة ، فقال له : يا شبيب هل لك في شرف الدنيا والآخرة ، قال : وما هو ؟ قال : ساعدني على قتل علي . وكان شبيب على رأي الخوارج ، فقال لابن ملجم : وكيف تقدر على ذلك ؟ قال له : نكمن له في المسجد الاعظم ، فاذا خرج لصلاة الفجر فتكنا به وقتلناه ، ولم يزل به يقنعه حتى أجابه ، فأقبل معه حتى دخلا على قطام وهي معتكفة في المسجد الاعظم ، قد ضربت عليها قبة ، فقالا لها : قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل فقالت لهما : فاذا أردتما ذلك فالقياني في هذا الموضع ، فانصرفا من عندها ، فلبثا أياماً ، ثم أتياها ليلة الجمعة لتسع عشرة أو سبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة اربعين ، فقال لها ابن ملجم هذه الليلة التي وعدت فيها صاحبي وواعداني ان يقتل كل واحد منا صاحبه

الـذي يتـوجـه اليـه ، فـدعت لهم بحـريـر فعصبّت بـه صـدورهـم ،وتقلدوا سيوفهم ومضـوا فجلسوا قـرب الباب الذي كان يخرج منه أمير المؤمنين (ع) .

المؤامرة التي دبرّهـا ابن ملجم لقتل عـلي (ع) كادت ان تفشـل حيث أنه أتى الى الاشعث بن قيس في الليلة التي أراد فيها بعـلي (ع) ما أراد ، والأشعث في بعض نـواحي المسجـد ، فسمـع حجـر بن عـدي الاشعث يقـول لابن ملجم ، النجا النجا لحاجتك فقـد فضحك الصبـح ، فقال لـه حجر ، قتلتـه يـا أعـور ! وخـرج مبـادرا الى عـلي (ع) وأسـرج دابته . دخـل عـلي (ع) المسجـد لصلوة الفجـر ، وأقبل ينادي : الصلاة ، الصلاة .

وحينـذاك لمع سيف شبيب لقتل الامـام عـلي (ع) ، ولكنـه أخطاه حيث وقعت ضـربته في الـطاق ، ولكن سيف ابن ملجم أصاب هدفـه حيث رفعه وصـاح قائـلاً : الحكم لله لا لك يا علي . وهوى به فأثبت الضـربة في وسط رأسـه (ع) . و في هـذا الـوقت سمـع أمير المؤمنـين يقـول : لا يفوتنكم الرجـل ، وعندئـذ رجع حجـر الى المسجد مسـرعاً ولكنـه سمع النـاس يقـولـون : قتـل امـير المؤمنـين وحـاول الثلاثة الهروب والنجاة بأنفسهم ، أما وردان فـانه تم لـه ما أراد ، لأنـه لم يتقدم لقتـل الامام (ع) فسهـل عليه طـريق

النجاة . وأما شبيب بن بجرة فانه خرج هارباً ، فأخذه رجل فصرعه وجلس على صدره وأخذ السيف من يده ليقتله فرآى الناس يقصدون نحوه ، فخشي ان يعجلّوا عليه ولا يسمعوا منه ، فوثب عن صدره ، وخلاه ، وطرح السيف من يده ، فمضى الرجل هارباً حتى دخل منزله ، فدخل عليه ابن عم له فرآه يحلّ الحرير عن صدره ، فقال له : ما هذا ، لعلك قتلت أمير المؤمنين (ع) ، فأراد ان يقول : لا فقال : نعم فمضى ابن عمّه فاشتمل على سيفه ثم دخل عليه ، فضربه حتى قتله .

وأما ابن ملجم ، فقد قبض عليه وأتي به الى أمير المؤمنين (ع) فقال (ع) : النفس بالنفس ، ان أنا مت فاقلتوه كما قتلني ، وان سلمت رأيت فيه رأيي . ثم دعي الى الامام بطبيب جراح معروف يقال له (اثيرا) فلما شاهد جرحه قال له : يا أمير المؤمنين : اعهد عهدك ، فان عدو الله قد وصلت ضربته الى أم رأسك ، فدعا أمير المؤمنين (ع) عند ذلك بصحيفة ودواة وكتب وصيته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ، أوصي بأنه يشهد ان لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره

المشـركـون . ان صـلاتي ونسكي ومحياي ومـاتي لله رب العـالمين ، لا شـريـك لـه ، وبـذلـك امـرت وأنـا أولّ المسلمين .

أوصيـك يا حسن وجميـع ولدي واهـل بيتي ومن بلغه كتابي هذا .

١ ـ بـتـقـوى الله ربّـنـا ، ولا تمـوتّـن الاّ وانـتـم مسلمون .

٢ ـ واعتصمـوا بحبـل الله جميعـاً ولا تفـرّقـوا ، فـانيّ سمعت رسـول الله (ص) يقـول : صـلاح ذات البـين أفضل من عامة الصلاة والصيام ، وان المبيرة الحالقة للدين فسـادُ ذات البـين ، ولا حـول ولا قـوة الا بـالله العـلّي العظيم .

٣ ـ أنـظروا ذوي ارحـامكم ، فصلوهم ، يهـوّن الله عليكم الحساب .

٤ ـ والله الله في الايتـام ، فـلا تغـيّـرنّ افـواههـم بحضرتكم . (وجاء فلا تغبّوا افـواههم ، ولا يضيّعـوا في حضرتكم » في كتاب ـ بحـار الانوار ج ٧٥ : ١٤ ـ الـطبعة الجديدة) .

٥ ـ والله الله في جيـرانكم ، فانها وصيـة رسول الله ،

ما زال يوصينابهم حتى ظنّنا انه سيوّرثهم .

٦ ـ والله الله في القـرآن ، فـلا يسبقكم الى العمـل بغيركم .

٧ ـ والله الله في الصلاة فانها عماد دينكم .

٨ ـ والله والله في بيت ربكم ، فـلا يخلو منكم مـا بقيتم ، وانه ان خلا منكم لم تنظروا .

٩ ـ والله الله في صيـام شهر رمضـان ، فانّـه جنة من النار .

١٠ ـ والله الله في الجهـاد في سبيـل الله بـامـوالكم وانفسكم .

١١ ـ والله الله في زكاة أموالكم ، فانها تطفي غضب ربّكم .

١٢ ـ والله الله في أمـة نبيّكم ، فـلا تـظلمنّ بـين أظهركم .

١٣ ـ والله الله في اصحـاب نبيّكم ، فـان رسـول الله (ص) اوصى بهم .

١٤ ـ والله الله في الفقـراء ولمسـاكـين ، فـأشـركـوهم في معايشكم .

١٥ ـ والله الله فيما ملكت أيمانكم .

ثم قال(ع) : الصلوة الصلوة ، لا تخافوا في الله لومة لائم فانه يكفيكم من بغى عليكم وارادكم بسوء .

١٦ ـ قولوا للناس حسناً كما أمركم الله .

١٧ ـ ولا تتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيتولى الأمر عليكم غيركم وتدعون فلا يستجاب لكم .

١٨ ـ عليكم بالتواضع والتباذل والتبادر ، وياكم والتقاطع والتفرّق والتدابر .

١٩ ـ تعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان .

٢٠ ـ واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب .

٢١ ـ حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ فيكم نبيّهُ (ص) ، أستودعكم الله خير مستودع ، وأقرأ عليكم سلام الله ورحمته[١] .

---

(١) مقاتل الطالبيين ـ الطبعة القديمة ـ ص ١٥ .

(١١٣)

اين ابناؤك [1] ؟

دخل عديّ بن حاتم على معاوية بن أبي سفيان يوماً ، فسأله معاوية : اين الطرفات ؟ يعني طريفاً وطارفاً وطرفة اولاد عدي .

فأجاب عدي : قتلوا يوم صفين بين يدي عليّ بن ابي طالب (ع) .

فقال معاوية : ما أنصفك ابن ابي طالب ، اذ قدّم بنيك واخرَّ بنيه .

فقال عَدي : بل أنا ما أنصفت علياً ، اذ قتل وبقيت .

ثم التفت معاوية الى عديّ ، وقال له : صف لي علياً . فقال عدي : ان رأيتَ أن تعفيني . فقال معاوية ، لا اعفيك .

فوصف عديّ عليّاً بقوله :

« كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول

---

(١) الكنى والالقاب : ج ٢ ص ١٠٣ .

عدلا ، ويحكم فصلا ، تتفجر الحكمة من جوانبه ، والعلم من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير الدمعة طويل الفكرة ، يحاسب نفسه اذا خلا ، ويقلّب كفيّه على ما مضى ، يعجبه من اللباس القصير ، ومن المعاش الخشن ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا اذا سألناه ، ويدنينا اذا أتيناه ، ونحن مع تقريبه لنا وقربه منّا لا نكلّمه لهيبته ، ولا نرفع أعيننا اليه لعظمته ، فان تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم ، يعظّم أهل الدين ، ويتحبّب الى المساكين ، لا يخاف القوي ظلمه ، ولا ييأس الضعيف من عدله . فأقسم لقد رأيته ليلة وقد مثل في محرابه ، وأرخى الليل سر باله ، وغارت نجومه ، ودموعه تتحادر على لحيته ، وهو يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ، فكأني الآن اسمعه وهو يقول : يا دنيا اليّ تعرّضت ، ام اليّ أقبلت ؛ غرّي غيري ، لا حان حينك ، قد طلّقتكِ ثلاثاً لا رجعة لي فيكِ ، فعيشك حقير ، وخطرك يسير ، اه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق » .

هنا وكفت عينا معاوية ، وجعل ينشفهما بكمه ، ثم قال : « يرحم الله أبا الحسن كان كذلك » ثم أضاف قائلاً لعدي : فكيف صبرك عليه ؟

فأجاب : كصبر من ذبحَ ولدها في حجرها ، فهي لا ترقأ دمعتها ، ولا تسكن غبرتها .

ثم سأله معاوية : فكيف ذكرك له ؟

ـ وهل تراني أنساه !

(١١٤)

نصيحة المعلم[1]

جعل معاوية بن ابي سفيان سبَّ عليّ (ع) على المنابر ـ وخاصةً عند خطبة صلاة الجمعة ـ سنّةً ، وأوعز الى عماله بذلك ، وبلغت الحال بذلك درجاً ، صار فيها سبّ الامام علي (ع) جارياً على الالسن في جميع أنحاء البلاد الاسلامية ، فرأى قوم من بني أمية أن يقترحوا على معاوية بأن يكف عن السبب ويمنعه ، فقالوا له :

يا أمير المؤمنين ، انّك قد بلغت ما أملت فلو كففت عن لعن هذا الرجل . فقال : لا والله حتى يربو عليها الصغير ، ويهرم عليها الكبير ، ولا يذكر له ذاكرٌ فضلاً .

---

(١) شرح ابن ابي الحديد ـ دار الفكر ـ بيروت ج ١ ص ٤٦٣ ـ ٤٦٤ .

وكان الحجاج ـ لعنه الله ـ يلعن علياً (ع) ويأمر بلعنه ، وحدث ان قال له معترض به يوماً ، وهو راكب : أيها الأمير ، انّ أهلي عقوني فسمّوني علياً فغيّر اسمي ، وصلني بما أتبلغ به فاني فقير : للطفِ ما توصلت به ، قد سمّيتك كذا ، وليتك العمل الفلاني فأشخص اليه .

وعن عمرو بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ قال : كنت غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود ، فمرّ بي يوماً وأنا ألعب مع الصبيان ، ونحن نلعن عليّاً عليه السلام ، فكره ذلك ودخل المسجد فتركت الصبيان ، وجئت اليه لأدرس عليه وردي ، فلما رآني قام فصلى وأطال في الصلاة شبه المعرض عني حتى أحسست منه بذلك ، فلما انفتل من صلاته كلح في وجهي ، فقلت له : ما بال الشيخ ؟ قال لي : يا بني أنت اللاعن علياً .

قلت : نعم .

قال : فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم .

فقلت : يا أبتِ وهل كان عليّ من أهل بدر ؟

فقال : ويحك وهل كانت بدر كلها الاّ له ؟

فقلت : لا أعود .

فقال : انك لا تعود .

قلت : نعم . فلم ألعنه بعدها .

ثم كنت أحضر تحت منبر المدينة وأبي يخطب يوم الجمعة ، وهو حينئذ أمير المدينة ، فكنت أسمع أبي يمرّ في خطبته ، فتهدر شقاشقه ، حتى يأتي الى لعن علي (ع) فيجمجم ، ويعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالم به ، فكنت أعجب من ذلك ، فقلت له يوماً : يا أبت أنت أفصح الناس وأخطبهم فما بالي أراك خطيب يوم حفلك حتى اذا مررت بلعن هذا الرجل صرت ألكن عيياً ؟ فقال : يا بني انّ من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم ، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك ، لم يتبعنا منهم أحد ، فوقرت كلمته في صدري مع ما قاله لي معلمي أيام صغري ، فأعطيت الله وعداً ، لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لا غيرنه ، فلما منّ الله عليّ بالخلافة أسقطت ذلك وجعلت مكانه : ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ، وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون .

(١١٥)

حق المسلم على أخيه المسلم[١]

لما عزم عبد الاعلى بن أعين على السفر من الكوفة لى المدينة ، اغتنم اتباع الصادق (ع) هذه الفرصة ، أرسلوا معه أسئلة محرّرة يوصلها الى الامام (ع) ليجيب عليها ، وطلبوا اليه أيضاً أن يسأل الإمام شفاهاً عن حق لمسلم على أخيه .

فلّما وصل عبد الأعلى الى المدينة ، ذهب الى الامام الصادق (ع) وقدّم الاسئلة ، ثم سأله عن حق المسلم على أخيه فلم يجبه الامام على هذا السؤال .

ولما جاء إلى الامام يؤدعه عندما أراد الرجوع قال : سألتك عن حق المسلم على أخيه فلم تجبني .

فقال الامام (ع) : اني اخاف ان تكفروا ، انّ من أشدّ ما افترض الله على خلقه ثلاثاً .

١ ـ انصاف المرء من نفسه ، حتى لا يرضى لأخيه من نفسه الا بما يرضى لنفسه منه .

---

(١) اصول الكافي ج ٢ ص ١٧٠ .

ب ـ ومواساة الأخ في المال .

جـ ـ « وذكر الله على كل حال » وليس معنى ذلك ، ان يقول سبحان الله والحمد لله ، بل يجب ان يكون ذكر الله مانعاً له من ارتكاب الحرام دائماً .

(١١٦)

حق الأمّ

كان زكريا بن ابراهيم نصرانياً مثل أبويه وسائر أفراد قبيلته ، ولكنّ قلبه وضميره كانا يدعوانه للاسلام حتى أسلم .

عندما حل موسم الحج ، شدّ رحاله قاصداً البيت الحرام لاداء فريضة الحج الواجبة ، وهناك ذهب الى الامام الصادق (ع) وقال له : انّي كنت على دين النصرانية ، وقد أسلمت ، فقال الأمام (ع) : أي شيء رأيت في الاسلام حتى صار سبباً في اسلامك ؟

فأجاب : قوله عزّمن قائل « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء » .

فقال الامام : لقد هداك الله ، ثم دعا بقوله : اللهم اهده .

ثم قال (ع) سل عمّا شئت يا بني .

قال : إنّ أبي وأميّ واهل بيتي على النصرانية ، وامي مكفوفة البصر ، فأكون معهم ، وآكل في آنيتهم فسأله الامام ـ أيأكلون لحم الخنزير ؟

فآجابه زكريا ـ لا ، ولا يمسونه .

فقال الامام : لا بأس ، فانظر امّك وبرها ، فاذا ماتت فلا تكلها الى غيرك ، كن أنت الذي تقوم بشأنها (بتجهيزها) ولا تخبرنّ أحدا انك أتيتني ، حتى تأتيني بمنى ان شاء الله .

ذهب زكريا الى الامام بمنى والناس قد اجتمعوا حوله وكأنه معلم صبيان ، هذا يسأله وذاك يستمع اليه .

انتهت ايام الحج ، ورجع زكريا الى الكوفة ، وقد أودع وصية الامام الصادق (ع) في صندوق ذهنه وصمم على تنفيذها ، فأخذ يلاطف أمه ويسبغ عليها من حنانه ويخدمها اكثر من ذي قبل .

فقالت له ذات يوم : يا بنيّ ما كنت تصنع بي مثل هذا عندما كنت على دين النصرانية ، فما الذي أراه منك

منذ هجرت هذا الدين ودخلت في الاسلام ؟

فقال : رجل من ولد نبينا أمرني بهذا .

فقالت : أهذا الرجل نبيّ ؟

ـ لا ، ولكن ابن نبي .

يـا أماه ، انه ليس بعد نبينا نبي ، ولكنه ابنه .

ـ يـا بني ، دينك خـير دين ، اعرضـه عليّ . فعـرضه عليهـا ، فدخلت في الاسـلام ، وعلمهـا ، فصلت الـظهـر والعصر والمغـرب والعشـاء ، ثم عـرض لهـا عـارض في الليل .

فقـالت : يـا بني ، أعـد عـليّ مـا علمتني ، فـاعـاده عليها ، فاقـرت به ومـاتت بعد ذلـك ، فلّما أصبح الصبـاح غسّلها المسلمون ، وكـان هو الـذي صلّى عليهـا ، ووضعها في قبرها .

(١١٧)

محضر العالم[1]

جـاء رجل من الانصـار الى النبي (ص) ، فقـال

---

(١) اصول الكافي ج ٢ ص ١١٦ .

يـا رسول الله ، اتفقت جنـازة ومجلس عالم في وقت واحـد، فأيهما أحبّ اليك ان أشهد ؟

فقـال رسـول الله (ص) : ان كـان للجنـازة من يتبعها ويدفنها ، فان جضـور مجلس عالم أفضـل من حضور ألف جنـازة ، ومن عيـادة ألف مـريض ، ومن قيـام ألف ليلة ، ومن صيام ألف يـوم ، ومن ألف درهم يتصـدق بها عـلى المسـاكـين ، ومن ألف حجـة سـوى الفـريضـة ، ومن الف غـزوة سـوى الـواجبـة تغـزوهـا في سبيـل الله بمـالـك ونفسـك ، فأين تقـع هذه المشـاهـد من مشهـد عـالم ؟ أمـا علمت أن الله يـطاع بالعلم ويعبـد بـالعلم ؟ وخـير الـدنيـا والآخرة مع العلم ، وشرّ الدنيا والآخرة مع الجهل ؟

(١١٨)

طاووس اليماني وهشام

قـدم هشام بن عبـد الملك مكة المكـرمة أيـام خلافتـه قـاصداً الحـج ، فلما استقر بـه المقام فيهـا ، امر رجـالـه ان يأتوه بـرجل من الصحـابة ، فقيـل له قـد انقرضـوا جميعاً ، ولم يبق أحد منهم .

فقـال : فـواحـد من « التـابعـين » فجاؤوه بـطاووس

اليماني ، فلما دخل عليه ، خلع نعليه بحاشية بساطه وعندما سلّم عليه لم يسلّم بأمرة المؤمنين ، بل قال : السلام عليك ، ثم جلس بجانبه ، وعندما تحدّث معه لم يخاطبه بكنيته وانما قال له : كيف انت يا هشام . غضب هشام غضباً شديداً من سلوك طاووس ، وقال له يا طاووس ما الذي حملك على ما صنعت ؟

فأجابه طاووس ـ وما صنعت ؟

فازداد غضب هشام ، وقال :

ـ خلعت نعليك بحاشية بساطي ، ولم تسلم بأمرة المؤمنين ولم تكنني ، وجلست بازائي ، وقلت : كيف أنت يا هشام ؟

فأجابه طاووس قائلاً : أما خلع نعلي بحاشية بساطك فأني اخلعها بين يدي ربّ العزّة كل يوم خمس مرات ، ولا يغضب علي لذلك ، واما قولك لم تسلّم عليّ بأمرة المؤمنين ، فليس كلّ الناس راضين بأمرتك ، واما قولك لم تكنني فان الله عز وجل سمّىٰ أولياءه ، فقال : يا داوود ويا يحيى ويا عيسى ، وليس هذا اهانة للأنبياء ، وكنّى اعداءه فقال : تبت يدا ابي لهب ، واما قولك جلست بازائي ، فاني سمعت امير المؤمنين ، علي بن ابي

طالب (ع) يقول : اذا أردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام .

فقال هشام : عظني .

فقال طاووس : سمعت من أمير المؤمنين ، علي بن ابي طالب (ع) ، ان في جهنّم حيّات وعقارب كبيرة جداً ، تلدغ كلّ امير لا يعدل في رعيته ، ثم قام وخرج بسرعة[1] .

(١١٩)

التقاعد[2]

كان نصرانياً ، وكان قد بلغ من الكبر عتيا ، فلقد عمل طيلة شبابه لكي يعيش من ثمرة أتعابه ولكنه لم يدخر شيئاً لوقت كبره وهرمه . ومع هرمه فقدْ فقدَ بصره ، ولم يبق أمامه طريق للمعيشة سوى السؤال والاستجداء .

مر به الامام أمير المؤمنين (ع) ذات يوم فقال : من

---

(١) بحار الانوار ج ١ الطبعة الجديدة ص ٢٠٤ .

(٢) سفينة البحار ـ مادة (طاووس) ص ٩٥ ج ٢ .

هـذا ، ولماذا آلت حـالـه الى هكـذا ؟ الا يـوجـد لـه ولـد يتكفله ؟ الا يوجد له سبيل آخـر يستطيـع بواسطتهان يعيش أيامه الاخيرة عيشة محترمة تبعده عن السؤال ؟

فقالوا : يـا أمير المؤمنـين ، انه نصـراني ، ولقد كـان قوياً بصيراً ، كان يعيش من كـدّ يمينه وعـرق جبينه ، والآن فقـد قوتـه وبصره معـاً ، وليس عنده مـا يستطيـع ان يقوت نفسه به ، فلم يبق له الا السؤال .

فقـــال (ع) : استعملتمـوه ، حتى اذا كبـــر وعجـز منعتموه . انفقوا عليه من بيت المال .

(١٢٠)

حتى ولو كان نخاساً[1]

كـــان في عصر النبي (ص) رجـل يبيـــع الـــزيت ، وكـان يحبّ رسول الله (ص) حبّـاً جماً ، فكـان اذا اراد ان يذهب لقضاء حاجة لـه ، لا يذهب لقضـائهـا حتى ينعـطف بـطريقـه عـلى رسـول الله (ص) ، لينـظر اليـه ، ويتـــزود منـه ، وكان اذا مـرّ على النبي (ص) ووجـد حولـه جماعـة كثيـرة من النـاس ، تـطاول حتى يشـاهـده ، حتى اذا كـان

---

(١) وسائل الشيعة ج ٢ ص ٤٢٥ .

ذات يوم ، مرّ على النبي (ص) فشاهد حوله جماعة كثيرة حجبته عن الانظار فحاول ان يشاهده ، فحانت من النبي (ص) التفاتة ، فرآه يحاول مشاهدته ، فتطاول (ص) له حتى نظر اليه ومضى في حاجته ، فلم يكن منه الا عاد مسرعاً ، فلما رآه رسول الله (ص) أشار اليه بيده : ان اجلس فجلس بين يديه ، فقال (ص) : ما لك فعلت شيئاً لم تكن تفعله قبل ذلك ؟

فقال : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق نبيّاً غشي قلبي شيء من ذكرك حتى ما استطعت ان أمضي في حاجتي ، حتى رجعت اليك ، فدعا له ، وقال له خيراً .

ثم مكث رسول الله (ص) أياما لا يراه ، فلّما افتقده سأل عنه ، فقيل : يا رسول الله ما رأيناه منذ أيام ، فانطلق رسول الله (ص) مع أصحابه حتى أتوا سوق الزيت ، فاذا بد كان الرجل مغلق فسأل عنه جيرته ، فقالوا : يأ رسول الله ، لقد مات ، ولقد كان عندنا أمينا صدوقا ، الا انه كانت فيه خصلة . قال : وما هي ؟ قالوا : كان يتبع النساء

فقال النبي (ص) : رحمه الله ، والله لقد كان يحبنّي حبا لو كان نخاسا لغفر الله له .

(١٢١)

بائع الخيار[١]

في القرن الثاني الهجري كانت مسألة الطلاق ثلاث مرات في مجلس واحد موضوع بحث الفقهاء وموضوع مناقشاتهم ، وكان رأي اكثر الفقهاء في ذلك الوقت مؤيداً لمثل هذا الطلاق ، أما فقهاء الشيعة فكانوا لا يقولون بصحته ، بل يتبعون رأي أئمتهم في هذا الموضوع ، حيث كان أئمتهم يقولون بأن الطلاق الصحيح هو الذي يقع ثلاث مرّات تتخللها رجعة ، وذلك بأن يطلق الرجل زوجته ، ثم ترجع اليه ، ثم يطلقها مرة ثانية ، ثم ترجع اليه مرة اخرى ، ثم بعد ذلك يطلقها مرة ثالثة ، وفي هذه المرّة ، لا يحق للرجل ان يرجعها في عدتها ، ولا يحق له أيضا أن يتزوجها بعد العدة ، الا بعد ان تنكح غيره ، فيتخذ الأخير صورة « المحلل » .

حدث في ذلك الوقت ، ان طلق رجل من أهل الكوفة زوجته ثلاثاً مرة واحدة ، وبعد أن طلقها بهذه الصورة ، ندم على عمله ندماً شديداً ، لأنه كان يحبها حبّاً

---

(١) روضة المكافي ص ٧٧ .

جما ، الا ان المشاكل المؤقتة التي شابت صفاءهما جعلته يقدم على مثل هذا العمل ، كما أن زوجته هي الأخرى كانت مولعة بحبه ، لذلك أخذا يفتشان عن وسيلة تنقذهما من مغّبة هذا الفراق ، وعاقبة هذه الورطة .

ذهبا الى فقهاء الشيعة واستفتياهم بهذه المسألة ، فكان رأيهم جميعاً على بطلان هذا الطلاق ، وانه لا ينتج أثراً ، وأخبروهما بأنهما زوجان شرعيّان باقيان على حالتهما الزوجية السابقة . اما سائر الفقهاء وأتباعهم من عامة الناس ، فكانوا يرون صحة مثل هذا الطلاق ، لذلك كانوا يحذرونهما من مغبّة الرجوع . كانت مشكلتهما عويصة جداً لأنها كانت معلقة بين الحلال والحرام ، فقد كانا يرغبان بادامة حياتهما السابقة ، ولكنهما كانا يخافان من أن يكون الطلاق صحيحا ، فيكون رجوعهما حراما .

صمم الرجل على ان يأخذ برأى فقهاء الشيعة ، ويعتبر طلاقه لزوجته كأن لم يكن ، ولكن زوجته أبت إلا ان يأخذ برأي الامام الصادق (ع) نفسه ، وكان الامام (ع) آنذاك قد قدم الحيرة ، بأمر الخليفة السفاح ، الا ان احداً لا يستطيع ان يتصل به ، لأن السفاح منع الناس من أن يدخلوا عليه ، او ان يتصلوا به .

فكر الرجل كثيراً بالطريقة التي يمكنه بها ان يتصل

بـالامام (ع) ولكنـه لم يفلح . فكان يـذهب كل يـوم قرب دار الامـام (ع) لعله يلتمس لقـاءه ، فبينـما هـو ذات يـوم عـلى هذه الحـالة اذ أقبـل رجـل قـروي عليـه جبـة ، يبيـع خيـاراً ، فانبثقت في روعـه فكرة وخـطة جديـدة للأتصـال بالامام (ع) ، فدنا من بائع الخيـار وقال لـه : بكم خيارك هذا كلّه .

- بدرهم .

فأعطاه درهمـاً وأخذ الخيـار ، ثم طلب اليه ان يعيـره جبته لمدة قصيرة ، فوافق بائع الخيار ، واعطاه جبته .

لبس الرجل الجبّة ، ووضع طبق الخيـار على رأسـه ، وانـطلق ينادي : من يشتـري خياراً ، من يشتـري خيـاراً ، ثم انعـطف عـلى بيت الامـام (ع) مكـرراً هتـافـه بـأعـلى صـوتـه ، فـاذا بغـلام يخـرج من بيت الامـام (ع) منـاديـاً ايـاه : بكم تبيع الخيـار ؟ فانتهـز الرجـل هـذه الفـرصـة ، ودخـل عـلى الامـام (ع) ، فلما دنـا منـه قـال (ع) : مـا اجود ما احتلت ، ايّ شيء حاجتك ؟

فقـال : اني ابتليت ، فطلقت أهـلي في دفعة ثـلاثـاً ، فسـألت اصحـابنـا ، فقـالـوا : ليس بشيء ، ولكن زوجتي قالت لا أرضى حتى نسأل أبا عبد الله .

فقال (ع) ارجع الى أهلك فليس عليك شيء .

(١٢٢)

شهادة أم العلاء[١]

من فرط المحبة التي شدت أواصرها بين المهاجرين الذين تركوا أموالهم في مكة ، وهاجروا الى المدينة ، وبين اهل المدينة الذين ناصروهم ـ فدعوا بالانصار ـ كانت اموال الانصار مشتركة بينهم وبين المهاجرين حتى كأنها ملك مشاع بينهم .

كانت أم العلاء الانصارية من النساء اللواتي بايعن رسول الله (ص) على الاسلام ، وكان عثمان بن مضعون من المهاجرين .

نزل عثمان بن مضعون في بيت أم العلاء ، وأخذ يشاطر أهل البيت عيشتهم ، اذ كان من جرّاء المؤاخاة بين الانصار والمهاجرين ، ان أسكن الانصار المهاجرين معهم في بيوتهم .

قالت ام العلاء : مرض عثمان بن مضعون عندنا فمرّضناه ، حتى اذا توفي ادرجناه في اثوابه ، فدخل علينا رسول الله (ص) .

---

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ١٥٤ .

فقلت : رحمة الله عليك يا أبا السائب ، اشهد لقد أكرمك الله .

فقال رسول الله (ص) : وما يدريك ان الله اكرمه ؟

قالت : لا أدري ، ولكنها كلمة جرت على لساني ، وظلت بعد هذه الحادثة لا تزكي احدا بعده . وبعد زمن رأت عثمان في المنام وله عين جارية ، فذهبت الى رسول الله (ص) وأخبرته .

فقال (ص) : ذاك عمله .

(١٢٣)

اذان في نصف الليل[1]

كانت القدرة والسلطة في زمان الخلفاء الامويين بيد الاعراب أنفسهم ، أما في زمان الخلفاء العباسيين فكانت بيد الفرس ، فقد تسلطوا على جميع شؤون الدولة في ذلك الوقت ، وقد شجعهم على ذلك الخفاء العباسيون انفسهم ، وقد بلغت قدرتهم أوجها في زمن المأمون ، اما

---

(١) أسد الغابة ـ ج ٥ ص ٦٠٤ .

في زمن اخيه المعتصم ، فقد انتقلت القدرة الى الأتراك ، لانه كان يميل اليهم كثيراً لكون امه تركية منهم . هذا من جهة ، وكان يخاف الفرس لأنهم كانوا مناصرين للمأمون ، من جهة اخرى ، لذا زجّ العباس بن المأمون في السجن ، حيث توفي هناك ، لانه خاف من ان يستولي على عرش الخلافة بمساعدة الفرس .

أخذ المعتصم يشجع الاتراك على الهجرة الى بغداد ، فكانوا يأتون زمراً وفرادى ، حتى قويت شوكتهم ، وسيطروا على يأتون الدولة جميعاً .

كان هؤلاء الاتراك أقوياء اشداء اصحاء ، كما تستلزمه طبيعة بلادهم وبداوة معيشتهم . وهذه البداوة أكسبتهم قوة في البدن ، وخشونة في الطبع ، وقد تجلّى هذا في معاملتهم للناس ، فضجّ منهم أهل بغداد في عصر المعتصم ، وطلبوا اليه ان ينقلهم الى مكان آخر والا سيشكون أمره الى الله فوافق المعصتم على ذلك ، ولبى طلبهم بأن نقلهم الى سامراء بنقل مركز الخلافة الى هناك .

استمرت الحال على هذه الشاكلة حتى زمن المعتضد ، ففي عهد هذا الخليفة حدث ان شيخاً من التجار كان له على بعض القوّاد مال جليل يماطله به ، ولم

يستطع ايصال ظلامته الى الخليفة المعتضد ، لأنه كان اذا جاء حجبه القائد ، واستخفّ به غلمانه ، فدلّوه على خياط في سوق الثلاثاء فأمر الخياط القائد بدفع ما عليه للتاجر ففعل ، فعجب التاجر من هذا الذي رأى وألح عليه في السؤال عن سبب خضوع القائد . فقص عليه انه مرّ مرة في الطريق ، فرأى تركياً على داره ، وقد خطرت عليه أمرأة جميلة ، فتعلق بها وهو سكران ليدخلها داره ، وهي ممتنعة تستغيث ، ليس احد يغيثها ، وتقول : ان زوجي قد حلف بالطلاق ألاّ أبيت خارج بيته ، فان بيتني ، اخرب بيتي مع ما يلحقه من العار .

قال الخياط : فجئت الى التركي وزعقت به ، وسألته تركها ، فضرب رأسي بدبّوس كان في يده فشجّه وآلمني وأدخل المرأة داره فجمعت جمعاً وجئنا ، فضججنا على بابه ، فخرج الينا في عدة من غلمانه ، فأوقع بنا الضرب ، وذهبت الى بيتي ولم أزل أفكر في هذه المرأة حتى انتصف الليل ، فقلت في نفسي ان هذا التركي قد شرب طول ليلته ، ولا يعرف الأوقات ، فان أذنت لوقع له ان الفجر قد طلع ، فيطلق المرأة ، فتلحق بيتها قبل الفجر ، فتسلم من احد المكروهين ، ولا يخرب بيتها مع ما قد جرى عليها . فخرجت الى المسجد وصعدت المنارة

فأذنت ، وجعلت اتطلع منها الى الطريق ، اترقب خروج المرأة فلم تخرج واذا الشارع امتلأ خيلاً ورجالاً ومشاعل ، وهم يقولون من هذا الذي أذنّ الساعة ؟ ففزعت ، ثم صحت من المنارة : انا أذنت فقالوا لي انزل فأجب أمير المؤمنين ، ثم جيء بي الى المعتضد وقصصت عليه القصة ، فأحضر التركي والمرأة ، فلما تحقق من صحة قولي ، امر بردّ المرأة الى زوجها ، وان يمسكها ويحسن اليها ، ثم امر بقتل التركي .

قال الخياط : وامرني المعتضد اذا رأيت مثل هذا العمل ، فأ ذن ، وانشر الخبر ، فما سألت احدا من الناس بعد تلك الواقعة الا امتثل خوفا من علم الخليفة وقصاصه . وما رأيته من القائد فهو مصداق لا دعائي .

(١٢٤)

شكاية امرأة من زوجها[1]

كان الأمام علي (ع) يهتم بأمور المسلمين باخلاص ومثابرة ، وكان يشرف عليها بنفسه ، فحدث أن رجع (ع) الى داره في وقت القيظ ، فاذا امرأة قائمة تقول :

---

(١) ظهور الاسلام ج ١ ص ٣٢ و٣٣ .

ان زوجي ظلمني وأخافني ، واعتدى عليّ ، وحلف ليضربني .

فقال (ع) : يا أمة الله اصبري حتى يبرد النهار ، ثم أذهب معك ان شاء الله .

فقالت : يشتدّ غضبه وحنقه عليّ .

فطأطأ رأسه ، ثم رفعه ، وهو يقول : لا والله أوَ يؤخذ للمظلوم حقه غير متمتع ، ثم قال : اين منزلك ؟ مضى الامام حتى باب دارها ، ووقف عنده ، ثم قال : « السلام عليكم » .

فخرج شاب ، فقال الامام (ع) : يا عبد الله اتق الله فانك قد اخفتها واخرجتها .

فقال الفتى : وما انت وذاك ، والله لأحرقنها لكلامك .

فقال الامام (ع) : آمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر ، تستقبلني بالمنكر وتنكر بالمعروف .

وبينما هما على هذه الحالة ، اذ أقبل بعض المارة ، فسلموا على أمير المؤمنين (ع) بالامارة ، فعلم الشاب انه انما يكلم علياً أمير المؤمنين (ع) ، وحينئذ تقدم نحو الامام ، يطلب عفوه ويقول : يا أمير المؤمنين ، أقلني

عشرتي فوالله لأكونن لها أرضاً تطأني ؛ فأغمد عليٌّ سيفه ، وقال : يا أمة الله منزلك ، ولا تلجئي زوجك الى مثل هذا وشبهه .

(١٢٥)

الاعمال البيتية[1]

بعد ان تزّوج الأمام علي (ع) من فاطمة (ع) ، وشدا حبل حياتهما المشتركة ، ارادا ان يقسما أعمالهما المنزلية فيما بينهما ، فطرحا الامر على رسول الله (ص) ، وطلبا منه ان يقضي بينهما في ذلك فقبل (ص) . وقضى على فاطمة بخدمة ما دون الباب ـ أي بالأعمال المنزلية ـ وقضى على الامام عليّ (ع) بما خلفه ، اي بالأعمال التي تتعلق بخارج المنزل .

فقالت فاطمة (ع) : فلا يعلم ما داخلني من السرور الاّ الله ، باكفائي رسول الله (ص) تحمل أشغال الرجال وأعمالهم ، ومن ذلك التاريخ التزم الامام علي (ع) انجاز الاعمال الخارجية : مثل جلب الماء وشراء الحطب والطعام وما شابه ذلك والتزمت فاطمة (ع)

---

(١) بحار الانوار ج ٩ ـ مطبعة تبريز ـ ص ٥٩٨ .

انجاز الاعمال المنزلية ، كطحن الحنطة واضرام التنور لخبزها ، وطبخ الطعام وغسل الملابس ، وتنظيف البيت ، وكان الامام (ع) يشاركها في كل ذلك ، بين الحين والآخر ، كلما حانت له فرصة وساعده وقته ، ثم ان النبي (ص) هو الآخر كان يساعدهما في ذلك عندما كان يدخل عليهما البيت زائراً ويجدهما يشتغلان ، كما كان (ص) ينجز أعمال علي (ع) البيتية والخارجية ، كلّما حصل لعلي (ع) مانع يمنعه عن انجازها .

استمرت حياة الزوجين الوفيين على هذه الصورة حتى ابتهجت حياتهما بزغردة الاطفال ومناغاتهم ، فكثرت الاعمال البيتية ، وازدادت متاعبْ فاطمة (ع) تبعاً لذلك ، فرّق الامام (ع) لحالها وكانت من أحبّ اهله اليه ـ لما رآها وقد أثرت الاعمال المنزلية فيها كثيراً ، فقد طحنت حتى مجلت يداها ، وكنست البيت ؛ واوقدت النار تحت القدر حتى اغبّرت ودكنت ثيابها .

فقال لها الامام (ع) ذات يوم ، وقد آذاها التعب : لو ذهبت الى أبيك رسول الله (ص) وسألتيه خدماً تكفيك حرّما أنت فيه من هذا العمل ، فأتت النبي (ص) فوجدت عنده جماعة ، فاستحت أن تخبره بحاجتها ، فانصرفت فعلم النبي (ص) بما يداخلها ، فغدا الى بيتها في اليوم التالي ، وسألها عن حاجتها ، فقال

له الأمام (ع) : انا أخبرك يا رسول الله .

انها استقت بالقربة حتى أثرّت في صدرها ، وجرت بالرحى حتى مجلت يداها ، وكنست البيت حتى اغبّرت ثيابها ، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها ، فقلت لها : لو أتيت اباك فسألتيه خادماً تكفيك حرّ ما انت فيه من هذا العمل .

فقال النبي (ص) : الا اعلمكما ما هو خير لكما من الخادم ، وكان (ص) لا يريد ان يعيش احد من عياله معيشة أرفع من معيشة فقراء المدينة ، وخاصة في ذلك الوقت ، حيث كانت المدينة بلدة فقيرةً جداً . فقالا : وما هو ؟

ـ اذا اخذتما منامكما ، فسبّحا ثلاثا وثلاثين ، واحمدا ثلاثا وثلاثين ، وكبّرا أربعاً وثلاثين فقالت فاطمة (ع) : رضيت بما يرضى به الله ورسوله[1] .

---

(١) البحار ج ١٠ : ٢٤ ـ ٢٥ .

الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
١ ـ النبي (ص) وفريقان من اصحابه	٩
٢ ـ الرجل الذي طلب المساعدة	٩
٣ ـ طلب الدعاء	١٢
٤ ـ عقل الناقة	١٢
٥ ـ صديق في طريق الحج	١٣
٦ ـ على مائدة الطعام	١٤
٧ ـ القافلة التي تريد الحج	١٥
٨ ـ المسلم والذميّ	١٧
٩ ـ في ركاب الخليفة	١٨
١٠ ـ الامام الباقر والنصراني	١٩
١١ ـ النبي (ص) والاعرابي	٢٠

الموضوع	الصفحة
١٢ ـ الامام الحسين (ع) والرجل الشامي	٢٢
١٣ ـ الرجل الذي طلب النصيحة	٢٣
١٤ ـ المسيحي ودرع الامام علي (ع)	٢٤
١٥ ـ الامام الصادق (ع) وجماعة من الصوفية ...	٢٦
١٦ ـ الامام علي (ع) وعاصم بن زياد	٣٦
١٧ ـ المعسر والموسر	٣٧
١٨ ـ السوقي والعابر	٣٨
١٩ ـ الغزالي وقطاع الطرق	٤٠
٢٠ ـ ابن سيناً وابن مسكويه	٤٢
٢١ ـ نصيحة زاهد	٤٣
٢٢ ـ في مجلس الخليفة	٤٤
٢٣ ـ صلاة العيد	٤٦
٢٤ ـ الاصغاء لدعاء الأُم	٤٩
٢٥ ـ أمام القاضي	٥٠
٢٦ ـ في منى	٥١
٢٧ ـ رافعو الاثقال	٥٢
٢٨ ـ المسلم الجديد	٥٣
٢٩ ـ على مائدة الخليفة	٥٦
٣٠ ـ شكاية الجار	٥٧
٣١ ـ شجرة التمر	٥٨

الموضوع	الصفحة
٣٢ ـ في بيت ام سلمة	٥٩
٣٣ ـ السوق السوداء	٦٠
٣٤ ـ المتخلف عن القافلة	٦٢
٣٥ ـ شسع النعل	٦٥
٣٦ ـ الفرزدق وهشام	٦٥
٣٧ ـ البيزنطي	٦٨
٣٨ ـ عقيل وعلي	٧٠
٣٩ ـ الحلم المرعب	٧٢
٤٠ ـ في ظلة بني ساعدة	٧٣
٤١ ـ تحية اليهود	٧٥
٤٢ ـ رسالة من أبي ذر	٧٦
٤٣ ـ الاجر غير المقطوع	٧٧
٤٤ ـ أحر أم عبد	٧٩
٤٤ ـ في الميقات	٨٠
٤٦ ـ ثمر النخل	٨١
٤٧ ـ ثمرة العمل	٨٢
٤٨ ـ الصداقة التي قطعت	٨٣
٤٩ ـ التهوّر	٨٤
٥٠ ـ الهجاء	٨٦
٥١ ـ الشريكان	٨٧

الموضوع	الصفحة
٥٢ ـ منع شارب الخمرة	٨٨
٥٣ ـ ثوب الخليفة	٨٩
٥٤ ـ الشاب اليقيني	٩٠
٥٥ ـ مهاجرو الحبشة	٩١
٥٦ ـ العامل والشمس	٩٧
٥٧ ـ الجار الجديد	٩٧
٥٨ ـ الكلمات الاخيرة	٩٨
٥٩ ـ نسيبة	٩٩
٦٠ ـ طلب عيسى بن مريم	١٠١
٦١ ـ جمع الحطب من الصحراء	١٠٢
٦٢ ـ خمر على المائدة	١٠٣
٦٣ ـ الاستماع الى القرآن	١٠٣
٦٤ ـ تعظيم العامة	١٠٤
٦٥ ـ الكلام الذي بعث القوة في نفس أبي طالب .	١٠٧
٦٦ ـ الطالب الكهل	١٠٩
٦٧ ـ عالم نباتي	١١١
٦٨ ـ الخطيب	١١٤
٦٩ ـ ثمر السفر الى الطائف	١١٥
٧٠ ـ أبو إسحق الصابي	١١٧
٧١ ـ رائد الحقيقة	١١٩

الموضوع	الصفحة
٧٢ ـ طلب اليقين	١٢١
٧٣ ـ أمعك ماء وأنت تذوب عطشاً ؟!	١٢٣
٧٤ ـ الانتقام	١٢٥
٧٥ ـ الرجل المجهول	١٢٧
٧٦ ـ عدي بن حاتم	١٣٣
٧٧ ـ امتحان الذكاء	١٣٨
٧٨ ـ جويبر والزلفاء	١٣٩
٧٩ ـ نصيحة	١٤٥
٨٠ ـ التصميم المفاجيء	١٤٦
٨١ ـ ما أعظم بركة هذه النقود !	١٤٨
٨٢ ـ ارتفاع الاسعار	١٥٠
٨٣ ـ من تواضع أهل البيت (ع)	١٥٢
٨٤ ـ الحاجة الى الماء	١٥٣
٨٥ ـ الشكوىٰ من الزمان	١٥٥
٨٦ ـ عتاب استاذ	١٥٦
٨٧ ـ الفطور	١٥٨
٨٨ ـ البزّاز	١٥٩
٨٩ ـ اوضاع الكواكب	١٥٩
٩٠ ـ المنجّم	١٦١
٩١ ـ السعي في قضاء حاجة المؤمن	١٦٣

الموضوع	الصفحة
٩٢ ـ من هو اكثر عبادة	١٦٤
٩٣ ـ الاسكندر وديوجينس	١٦٥
٩٤ ـ الملك والحكيم	١٦٦
٩٥ ـ توحيد المفضل	١٦٩
٩٦ ـ سباق الابل	١٧٣
٩٧ ـ النصراني العطشان	١٧٤
٩٨ ـ ضيف الامام علي (ع)	١٧٥
٩٩ ـ مرضىٰ الجذام	١٧٧
١٠٠ ـ إبن سيابة	١٧٧
١٠١ ـ ضيف القاضي	١٨٠
١٠٢ ـ كلام البقالين	١٨١
١٠٣ ـ الشيخ والصغيران	١٨٣
١٠٤ ـ وصية سعد	١٨٤
١٠٥ ـ الدعاء المستجاب	١٨٦
١٠٦ ـ رد الجوار	١٩٠
١٠٧ ـ الهتاف الأوّل	١٩٢
١٠٨ ـ مع القائد رستم	١٩٥
١٠٩ ـ الدعاء في الليل	١٩٩
١١٠ ـ منهج العمل	٢٠٢
١١١ ـ أراقد أم رامق ؟	٢٠٧

الموضوع	الصفحة
١١٢ ـ قتل الامام علي (ع)	٢٠٩
١١٣ ـ أين أبناؤك ؟	٢٢١
١١٤ ـ نصيحة المعلم	٢٢٣
١١٥ ـ حق المسلم على أخيه المسلم	٢٢٦
١١٦ ـ حق الأم	٢٢٧
١١٧ ـ محضر العالم	٢٢٩
١١٨ ـ طاووس اليماني وهشام	٢٣٠
١١٩ ـ التقاعد	٢٣٢
١٢٠ ـ حتى ولو كان نخّاساً	٢٣٣
١٢١ ـ بائع الخيار	٢٣٥
١٢٢ ـ شهادة ام العلاء	٢٣٨
١٢٣ ـ اذان في نصف الليل	٢٣٩
١٢٤ ـ شكاية آمرأة من زوجها	٢٤٢
١٢٥ ـ الاعمال البيتية	٢٤٤